القــول الحــازم

في حكــم الترحــم على الكــافر

محفوظة
كل الحقوق

الطبعة الأولى
١٤٤٧ هـ

القــول الحــازم

في حكـم الترحـم على الكافر

تأليف/

موسى بن ثابت بن محمد المطري

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

الطبعة الأولى

اسم الكتاب: القول الحازم في حكم الترحم على الكافر.

اسم المؤلف: موسى بن ثابت بن محمد المطري.

مقاس الصفحة: ١٧×٢٤.

نوع الطباعة: ملون.

عدد الصفحات: ١٠٧.

إدخال وتنسيق: أبو حمدان الهاملي ٩٦٧ ٧٧٤٥٧٦٩٩٩+

المقدمة

الحمد لله الذي أعزَّ أولياءه بالإيمان، وأذلَّ أعداءه بالكفر والعصيان، وجعل الفوز والنجاة لمن أطاعه واتبع رسله، والهلاك والخسران لمن خالف سبيله وكذّب أنبياءه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً أنجُو بها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتىٰ الله بقلب سليم، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أَمَّا بَعدُ:

فإن أعظم ما يتميز به دين الإسلام وضوحه وصراحته، فلا مداهنة فيه في أصل الدين، ولا مجاملة في العقيدة، بل الحق حقٌّ والباطل باطل، قال تعالىٰ: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦].

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يَجوز للإنسان أن يجامل في دين الله، فإن كان الحق مع خصمه فالحق أولىٰ أن يُرفع»[(١)].

ومن القواعد القطعية التي دل عليها كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة:

---

(١) "الأم" للشافعي (ج ١، ص ٩٠).

أن من مات علىٰ الكفر فلا نجاة له، ولا يُرجىٰ له رحمة ولا مغفرة، بل هو خالد مخلّد في نار جهنم، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾ [البقرة:١٦١-١٦٢].

ومع وضوح هذا الحكم الجليّ في كتاب الله، وبيانه في سنة رسول الله ﷺ، إلا أننا في هذا الزمان العجيب، نرىٰ تساهلًا وتجرؤًا من بعض المسلمين في مخالفة ذلك، حتىٰ صاروا يترحمون علىٰ من مات علىٰ الكفر، ويطلبون له الغفران والرحمة، وربما كان ذلك عن حسن نية منهم أو جهلٍ بالحكم، ولكنه في النهاية مخالفة صريحة لدين الله تعالىٰ، وجرأة عظيمة علىٰ حدود الله، وموالاة باطلة لأعداء الله ورد صريح للقران الكريم.

ويا لله العجب! كيف يُطلب لمن لقي الله مشركًا كافرًا أن يُغفَر له، وقد قضىٰ الله تعالىٰ وحكم عليه بالحرمان؟! وكيف يُسأل له بالرحمة، وقد نصَّ الله في كتابه الكريم أنه من أهل اللعنة والخزي والهوان؟! أليس هذا من الاعتداء في الدعاء، بل ومن التناقض الصريح مع أصل الولاء والبراء، الذي هو من أوثق عُرىٰ الإيمان وأعظم معالم العقيدة؟!

أيُعقَل أن يأتي أحدٌ بعد النصوص المحكمة، فيتجرأ علىٰ الله، ويدعو لمن لعنه الله ولعنه ملائكته والناس أجمعون؟! أيُعقل أن يطلب له الرحمة من حُرِمها بنص القرآن؟! إن هذا والله لعنادٌ ظاهر، ومكابرة فاضحة، ومخالفة صريحة

لأحكام الله الجلية الواضحة.

الله جل جلاله يصرّح في محكم تنزيله بتحريم الرحمة عليهم، والحكم لهم بالنار والخلود فيها، في آيات واضحات بيّنات، لا تحتمل تأويلًا ولا التباسًا، ثم يجرؤ امرؤ بعد ذلك فيعاند ويكابر ويخالف حكم الله، كأنما يعترض علىٰ قضاء الله وقدره، ويستدرك علىٰ رب العالمين!

فيا ويحَ قلوبٍ غفلت عن كتاب ربها، ويا خزيَ أقوامٍ باعوا دينهم بالعواطف والشعارات! ألا فليعلموا أن دين الله أعظم من المجاملات، وأن نصوص الوحي أرفع من أن تُعارَض بالأهواء والعواطف الزائفة.

إن القلب ليتفطر أسًىٰ حين يرىٰ بعض المسلمين ـ ممن يحسبون أنهم يحسنون صنعًا ـ يتجرأون علىٰ الله فيسألون لهؤلاء المغفرة والرحمة، كأنهم لم يسمعوا قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُواْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾ [التوبة:١١٣].

أيها القارئ المبارك:

إنها قضية دين وعقيدة، لا مجاملة فيها ولا عاطفة. الدين رحمة، نعم، لكنه رحمة لأهل التوحيد والإيمان، لا لمن استكبر وعاند وكفر.

فواجب المسلم أن يكون فطنًا يقظًا، لا تنطلي عليه الدعوات الباطلة ولا الشعارات الزائفة، التي تريد أن تميع عقيدة الولاء والبراء وتذيب الفواصل بين الإيمان والكفر، بدعوىٰ "الإنسانية" أو "الرحمة العامة".

وإني لأكتب هذه السطور وقلبي يتقطع ألمًا وحسرةً لما رأيت عند موت القاضي الأمريكي فرنك كابريو، الذي توفي يوم ٢٠ أغسطس ٢٠٢٥، وقد سموه قاضي الإنسانية!

ومهما كان عنده من خُلُقٍ وإحسان، فإن ذلك لا ينفعه عند الله، لأنه مات علىٰ الكفر كافرًا.

انتشر مقطع في قناة عربية نشرته في حسابها الرسمي في "التيك توك"، وأكثر من ثلاثمائة ألف تعليق كلهم يترحمون عليه، وأغلبهم من المسلمين أو كلهم. وهذا أحزنني حزنًا شديدًا، وسهرت الليالي في كتابة هذا البحث ليخرج في أسرع وقت ممكن، وتركت كل جدولي اليومي من الدروس والبحوث الأخرىٰ وأنا أعلم علم اليقين أني سأجد كما يجد القارئ أخطاء في الكتاب هذا سواء في الترتيب أو نقص بعض الفصول وغيرها وكلنا مظنة الخطأ ولكني سأراجعه وأضيف إليه ما أراه في وقت لاحق إن شاء الله إنما كتبت بهذه السرعة بسبب ما رأيت من تساهل في هذا الباب فأخرجت هذا الكُتيب كما يقال: "إسعاف ".

نعم، إنه أمر محزن للغاية؛ أين وصل حال كثير من المسلمين من جهل وضياع وتساهل في الولاء والبراء، اللذين هما أوثق عرىٰ الإيمان.

أقبل كثير من شبابنا علىٰ اللهو واللعب والمرح، وكثر الإقبال علىٰ وسائل التواصل الاجتماعي ليلًا ونهارًا في التطبيقات والمراسلات، وكثر دعاة السوء في المواقع، أصحاب المناهج الهدامة التي تهتم بالجانب الوعظي فقط وتهمل

جانب التوحيد والعقيدة.

وعزف كثير من الشباب عن كبار العلماء، وأقبلوا علىٰ الحركيين، والله المستعان.

والأعجب من ذلك أن إعلان وفات القاضي الكافر قد أُذيع في قنوات عربية، مقرونًا بالترحم عليه وإظهار الأسف والحزن لفقده، بل انبرىٰ بعض المشاهير الجهلة للترحم عليه في مقاطع مصوَّرة، ونشروا مقاطعه الحسنة، وأبدوا التأسف عليه.

بل وصل الحال ببعضهم إلىٰ القول: الإنسانية فوق الدين وأعظم منه! أعوذ بالله من هذا الخذلان، إنه فجورٌ وأي فجور!.

نعم وإن كان رحيما طيبا عادلا فإن ذلك لا ينفعه عند الله مادام أنه توفي كافرًا.

إن الله سبحانه عليم بعباده، خبير بمصالحهم، حكيم في قضائه، ولو أراد به خيرًا لوفقه إلىٰ الإسلام. ولن يكون هذا القاضي أرحمَ وأعظمَ أثرًا من أبي طالب عمّ النبي ﷺ، الذي دافع عنه دفاعًا عظيمًا، وحماه ونصره وأعانه علىٰ الدعوة. ومع ذلك لما مات علىٰ الكفر نهىٰ الله نبيه ﷺ عن الاستغفار له والترحم عليه. وإنما خُصّ أبو طالب بشفاعة النبي ﷺ في أن يكون في ضحضاحٍ من نار، تغلي رجلاه حتىٰ يغلي دماغه. فالكافر – أيًّا كان – قد حكم الله عليه بالنار والخلود فيها.

ولما ماتت الصحفية النصرانية شيرين أبو عاقلة وقع كثير من المسلمين في الخطأ نفسه، فترحموا عليها وتباكوا من أجلها.

وكذلك لما توفي الممثل النصراني لطفي لبيب في الأمس القريب، انهال الناس عليه بالدعاء، ورأيت بعض المنتسبين إلىٰ العلم يجوّزون الترحم علىٰ الكافر! وهذا خذلان عظيم، وردٌّ صريحٌ لنصوص القرآن الكريم.

بل الأعجب من كل ذلك أنهم ترحموا علىٰ البابا فرنسيس، الذي توفي في أبريل ٢٠٢٥، وهو رأس النصرانية في العالم، ومع هذا لم يتورع كثير من المسلمين عن الدعاء له بالرحمة! وهكذا ـ يا عباد الله ـ يفعل الجهل بأهله الأفاعيل.

ومن أعجب العُجاب أني سمعت أن هناك من نوىٰ أن يؤدي مناسك العمرة عن القاضي الكافر! وسأترك هذه الجملة بدون تعليق حسبنا الله ونعم الوكيل.

كما تم رسمه في بعض الشوارع العربية وتعليق قلوب الناشئة به، بل قال بعضهم اللهم إن كنت ستعذبه فعذبني مكانه!.

ولهذا جعلت في آخر الكتاب نبذة بسيطة في الولاء والبراء.

وقد جاء هذا الكتب المختصر، ليكون بيانًا واضحًا، ودليلًا جامعًا، يجمع الأدلة القطعية من القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وأقوال سلف الأمة وأئمتها، في بيان حكم الترحم علىٰ الكافر بعد موته، والتنبيه علىٰ الفروق المهمة بين الدعاء له في حياته بالهداية وبين الترحم عليه بعد وفاته، وقد حاولت الاختصار قد الإمكان.

أسأل الله تعالىٰ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، نافعًا لعباده، وأن يوقظ به قلوبًا غافلة، وينبّه به نفوسًا متساهلة، ويثبت به المؤمنين علىٰ عقيدتهم، ويجنبهم مواطن الشبهات والزلل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب: موسى بن ثابت بن محمد المطري

بتأريخ: ٢٨-٢-١٤٤٧هـ صفر

الآيات الواردة في تحريم الترحم على الكافر

إليك أخي القارئ هذه الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، من كتاب ربك الحكيم، التي لا تحتمل التأويل والتحريف، في بيان ما نحن بصدده من تحريم الترحم علىٰ الكافرين من يهود ونصارىٰ وملاحدة، وعبدة القبور والأوثان:

❁ **قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾ [البقرة:١٦١-١٦٢].

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما من كفر واستمر علىٰ كفره حتىٰ مات ولم يرجع إلىٰ ربه، ولم ينب إليه، ولم يتب عن قريب فأولئك ﴿عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾؛ لأنه لما صار كفرهم وصفا ثابتًا، صارت اللعنة عليهم وصفًا ثابتًا لا تزول؛ لأن الحكم يدور مع علته، وجودا وعدما.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾، بل عذابهم دائم شديد مستمر ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ أي: يمهلون؛ لأن وقت الإمهال وهو الدنيا قد مضىٰ، ولم يبق لهم عذر فيعتذرون»[(١)].

---

(١) "تفسير السعدي" (ص٧٧).

❁ **وقال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

❁ **وقال تعالى:** ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾ [التوبة:١١٣].

ومن أعظم ما قرأت في تفسير هذه الآية ما قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «يعني: ما يليق ولا يحسن للنبي وللمؤمنين به ﴿أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ أي: لمن كفر به، وعبد معه غيره ﴿وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة:١١٣]، فإن الاستغفار لهم في هذه الحال غلط غير مفيد، فلا يليق بالنبي والمؤمنين؛ لأنهم إذا ماتوا علىٰ الشرك، أو علم أنهم يموتون عليه، فقد حقت عليهم كلمة العذاب، ووجب عليهم الخلود في النار، ولم تنفع فيهم شفاعة الشافعين، ولا استغفار المستغفرين.

وأيضًا فإن النبي والذين آمنوا معه، عليهم أن يوافقوا ربهم في رضاه وغضبه، ويوالوا من والاه الله، ويعادوا من عاداه الله، والاستغفار منهم لمن تبين أنه من أصحاب النار مناف لذلك، مناقض له، ولئن وجد الاستغفار من خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام لأبيه فإنه ﴿عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [التوبة:١١٤] في قوله: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧﴾ [مريم:٤٧] وذلك قبل أن يعلم عاقبة أبيه.

فلما تبين لإبراهيم أن أباه عدو لله، سيموت علىٰ الكفر، ولم ينفع فيه الوعظ

والتذكير ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة:١١٤] موافقة لربه وتأدبا معه»[(١)].

❁ **وقال تعالى:** ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة:١١٤].

قلت: أيها القارئ المتأمل، قف عند هذه الآية العظيمة وقفة طويلة، فإنها ترسم لك أعظم معاني الولاء والبراء، وتكشف عن صلابة التوحيد الذي لا يلين، انظر كيف أن خليل الرحمن إبراهيم -عليه السلام- لما تبيَّن له أن أباه عدو لله لم تأخذه فيه عاطفة القرابة، ولا شفقة البنوة، ولا مجاملة القريب، بل أعلن البراءة منه، وجهر بمفاصلته، وقطع كل رباط يوهن رابطة الإيمان.

هكذا يكون الإيمان الحق: محبة خالصة للمؤمنين، وبغض صريح للكافرين، ولو كانوا أقرب الناس رحمًا وأشدهم نسبًا، لا مجال في دين الله للمساومة ولا للمداهنة، فالتوحيد لا يقبل المشاركة، والولاء لله ولرسوله وللمؤمنين هو أوثق عرىٰ الإيمان.

فليتدبر القارئ الكريم: إن كان خليل الله إبراهيم قد تبرأ من أبيه لأجل العقيدة، فما بال أقوام اليوم يتهاونون في أصل الدين، فيوادّون الكافرين، أو يترحمون علىٰ من مات علىٰ الشرك والضلال، وقد حكم الله عليهم بالخسران

---

(١) "تفسير السعدي" (ص٣٥٣).

المبين؟! إنها آية تهز القلوب، وتوقظ الغافلين، وتثبت المؤمنين علىٰ طريق الأنبياء والمرسلين.

❁ **وقال تعالى:** ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥].

قال السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَحقّ لمن يَبْتَغِي غير دين الْإِسْلَام أَن يصبح غَدا من الخاسرين»[(١)].

وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني بذلك جلَّ ثناؤه: ومَن يَطلُبْ دِينًا غيَر دينِ الإسلامِ لِيدينَ به، فلن يَقْبَلَ اللهُ منه، ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥]، يقولُ: من الباخِسين أنفسَهم حظوظَها»[(٢)].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «من يدين لله بغير دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده، فعمله مردود غير مقبول؛ لأن دين الإسلام هو المتضمن للاستسلام لله، إخلاصا وانقيادا لرسله فما لم يأت به العبد لم يأت بسبب النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، وكل دين سواه فباطل»[(٣)].

---

(١) "تفسير السمعاني" (١-٣٣٨).

(٢) كتاب: "تفسير الطبري جامع البيان" - ت التركي (٥-٥٥٥).

(٣) "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" (ص١٣٧).

❁ **وقال تعالى:** ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الفتح:١٣]

قَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «السعير هُوَ الطَّبَق السَّادِس من جَهَنَّم»[(١)].

وقال النسفي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أخبرَ أنَّ هؤلاء كافرون بالله ورسوله، وأنَّ مصيرَهم إلىٰ النار»[(٢)].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: فإنه كافر مستحق للعقاب»[(٣)].

❁ **وقال تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾ [التغابن:١٠].

❁ **وقال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة:٦].

❁ **وقال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ [محمد:٣٤].

❁ **وقال تعالى:** ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ﴾ [المنافقون:٦].

❁ **وقال تعالى:** ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ

---

(١) "تفسير السمعاني" (٥-١٩٦).

(٢) "التيسير في التفسير" (١٣-٤٦١).

(٣) "تيسير الكريم الرحمن" (٧٩٢).

عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم:١٠].

وبعض الناس قد يترحم علىٰ النصراني إما جهلا منه بالحكم الشرعي أو معارضة منه للشريعة الإسلامية والله سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢].

قلت: تأمل -رعاك الله- هذا البيان الرباني الحاسم: ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة:٧٢]، إنه نصٌّ صريح قاطع لا يحتمل جدلًا ولا يحتمل تأويلًا.

فالله جل وعلا هو الذي يملك الجنة والنار، وهو سبحانه الذي حكم وأخبر، فقال: ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾، فإذا جاءك قائل في زمانك يهوّن الأمر، ويقول: «الله غفور رحيم، وقد يدخل الكافر الجنة، والرحمة واسعة، والجنة ليست بيدك ولا بيدي»، فقل له: نعم، الجنة ليست بيد أحد من الخلق، ولكنها بيد الله وحده، والله الذي بيده الجنة والنار قد أخبر أنه حرمها علىٰ الكافرين! فهل بعد قول الله قول؟!

فإياك ثم إياك أن تُكابر في صريح كلام الله أو تُعارضه بعقلك ورأيك. إن الله قال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٧]، وقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣]، وأنت تسمع هذا ثم تقول: «لا، لم يكفروا!» أفتُكذب القرآن؟! أفتُكذب كلام رب العالمين الذي لا يأتيه

الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟!

ثم انظر إلىٰ واقع النصارىٰ في جنازاتهم وطقوسهم، صلبان تُرفع، وأناشيد شركية تُتلىٰ، وعقائد كفرية تُعلن علىٰ الملأ بلا استحياء، ثم يأتي بعض المسلمين -هداهم الله- ليترحموا عليهم ويقولوا: «اللهم ارحمهم»، وهم ماتوا علىٰ هذا الكفر البواح! أليس هذا من أعظم الجهل بالدين؟ أليس هذا طعنًا في أصل الولاء والبراء الذي هو أوثق عرىٰ الإيمان؟

يا عبد الله! اعلم أن التساهل في هذا الباب ليس بالأمر الهين؛ لأنه مساس بجوهر التوحيد الذي بُعثت به الرسل وأنزلت به الكتب. فإذا كان خليل الله إبراهيم عليه السلام قد تبرأ من أبيه لمّا تبيّن له أنه عدو لله، فكيف نترك نحن البراءة من قوم أعلنوا الكفر جهارًا نهارًا، ثم ماتوا عليه، وحكم الله فيهم قد نزل؟!

فالزم -رحمك الله- النصوص المحكمة، ولا تغتر بشبهات دعاة التميع والمداهنة الذين يقدمون العاطفة علىٰ الوحي، والهوىٰ علىٰ النص، ويريدون من الناس دينًا مائعًا لا غضاضة فيه علىٰ الكافرين ولا مفاصلة مع أهل الشرك، إن الحق بيّن، والباطل بيّن، ومن رام الجمع بينهما فقد ضل سواء السبيل.

فيا أخي المسلم، قف عند حدود الله، ولا تجاوزها، وقل كما قال الله، واحذر أن تكون من الذين قال فيهم سبحانه: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة:٧٣]، فهذا وحي فاصل وآيات

واضحات، والنجاة في اتباع الكتاب والسنة، لا في اتباع الأهواء والشبهات.

❁ **وقال تعالى:** ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [التوبة:٣٠].

❁ **وقال تعالى:** ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [المائدة:٦٨].

❁ **وقال تعالى:** ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [يونس:٦٨-٧٠].

❁ **وقال تعالى:** ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم:٨٨-٩٥].

❁ **وقال تعالى:** ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [البقرة:١٢٠].

فيا أيها الساكتون عن كفر أهل الكتاب، المحسنون لشركهم، المزينون

لمعتقدهم، المداهنون لقساوستهم ورؤوس الكفر منهم، إن ظننتم أنكم بذلك ترضون ربكم فقد أبعدتم النجعة وضللتم الطريق وخالفتم كتاب ربكم وسنة رسولكم ﷺ واتبعتم غير سبيل المؤمنين، وإن ظننتم أنكم بذلك ترضون أعداءكم فقد خاب ظنكم فلن يرضوا عنكم حتىٰ تصيروا مثلهم.

اللهم اهدِ من التبس عليه أمر دينه، وردَّه إلىٰ الحق ردًّا جميلاً.

اللهم أرِه الحق حقًّا وارزقه اتباعه، وأرِه الباطل باطلاً وارزقه اجتنابه.

اللهم طهِّر قلبه من التعلُّق بالكافرين ومودّتهم، واملأه بحبك وحب نبيك والمؤمنين.

اللهم أصلحه، ووفِّقه للثبات علىٰ التوحيد، واجعله من الدعاة إلىٰ هداك، السالكين سبيل أوليائك الصالحين.

اللهم إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم، فاجعله ممن هديتهم وثبَّتَّهم علىٰ دينك القويم.

الأحاديث الواردة في تحريم الترحم على الكفار

عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: يا عم، قل لا إله إلا الله كلمة أحاجّ لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتىٰ قال آخر شيء كلمهم به: علىٰ ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ﴾ [التوبة:١١٣]، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]»(١).

وعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما: «لما توفي عبد الله بن أُبيّ جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلىٰ رسول الله ﷺ، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي علىٰ المنافقين؟ فقال: إنما خيرني الله فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٢)، ومسلم (٢٤).

سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة:٨٠]، وسأزيد على السبعين. قال: إنه منافق. فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة:٨٤]»[(١)].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «من مات يشرك بالله شيئًا دخل النار»[(٢)].

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَموتُ رَجُلٌ مُسلِمٌ، إلَّا أَدخلَ اللهُ مَكانَهُ النَّارَ يَهودِيًّا أو نَصرانيًّا»[(٣)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٦) ومسلم (٢٧٧٣).

(٢) رواه البخاري (١٢٣٨) ومسلم (٩٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٦٧).

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «لا تبدأوا اليهودَ ولا النصارىٰ بالسَّلامِ، وإذا لقيتُم أحدَهم في طريقٍ فاضطرُّوه إلىٰ أضيَقِه»(١).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال النبي ﷺ: «أخرجوا اليهودَ والنصارىٰ من جزيرة العرب»(٢).

وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «إنَّ اليهودَ كانوا يُسلِّمون علىٰ النبيِّ ﷺ فيقولون: السَّامُ عليك، ففطِنتُ لهم، فقلتُ: وعليكم السَّامُ واللعنةُ، فقال رسولُ الله ﷺ: مَهلًا يا عائشةُ، إنَّ اللهَ يُحبُّ الرِّفقَ في الأمرِ كلِّه، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، أوَلم تسمعْ ما قالوا؟ قال: قد قلتُ: وعليكم»(٣).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان غلامٌ يهوديٌّ يخدمُ النبيَّ ﷺ، فمرض،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، رقم: (٢١٦٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، رقم (٣٠٥٣).

ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود والنصارىٰ من جزيرة العرب، رقم (١٧٦٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب كيف يرد السلام علىٰ أهل الذمة، رقم: (٦٢٥٧)، و مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، رقم: (٢١٦٥).

فأتاه النبيُّ ﷺ يعوده، فقعد عند رأسِه فقال له: أسلِمْ، فنظر إلىٰ أبيه وهو عنده، فقال له: أطعْ أبا القاسمِ، فأسلم، فخرج النبيُّ ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار»[١].

قلت: وهذا فيه دليل واضح علىٰ أنه لو مات علىٰ اليهودية لكان من أهل النار، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».

عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنَّةَ إلا نفسٌ مسلمةٌ»[٢].

والله ولي التوفيق.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلَّىٰ عليه؟ رقم: (١٣٥٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم: (٣٠٧٣).

آثار السلف وإجماع الأمة في تحريم الترحم على الكفار

لقد أجمع السلف الصالح علىٰ وضوح حكم الله في حق الذين كفروا بعد البينات، فبينوا أن الرحمة في دار الإسلام مقيدة بعقيدة الحق، وأن الترحم علىٰ الكافر بعد موته تجاوز للحدود الشرعية.

ولم يزل العلماء منذ عهد النبي ﷺ يصرحون بهذا الحكم ويذكرون أسباب منع الدعاء للميت الكافر؛ حرصًا علىٰ إقرار الحق وتحقيق أمر الله عز وجل.

وهذه الآثار والأقوال جمعًا بين الصراحة والبيان، تُرشد القلوب السليمة إلىٰ الاعتقاد الصحيح.

ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «نقل ابن حزم الإجماع أن دين الإسلام هو الدين الذي لا دين لله في الأرض سواه، وأنه ناسخ لجميع الأديان قبله، وأنه لا ينسخه دين بعده أبدًا، وأن من خالفه ممن بلغه كافر مخلد في النار أبدًا»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن دين النصارىٰ الباطل إنما هو دين مبتدع، ابتدعوه بعد المسيح عليه السلام، وغيروا به دين المسيح، فضل منهم من عدل عن شريعة المسيح إلىٰ ما ابتدعوه.

---

(١) "مراتب الإجماع" (ص٢٦٧).

ثم لما بعث الله محمدًا ﷺ كفروا به فصار كفرهم وضلالهم من هذين الوجهين: تبديل دين الرسول الأول، وتكذيب الرسول الثاني.

كما كان كفر اليهود بتبديلهم أحكام التوراة قبل مبعث المسيح، ثم تكذيبهم المسيح عليه السلام.

ونبين إن شاء الله أن ما عليه النصارىٰ من التثليث والاتحاد، لم يدل عليه شيء من كتب الله: لا الإنجيل ولا غيره، بل دلت علىٰ نقيض ذلك، ولا دل علىٰ ذلك عقل بل العقل الصريح مع نصوص الأنبياء تدل علىٰ نقيض ذلك، بل وكذلك عامة شرائع دينهم محدثة مبتدعة، لم يشرعها المسيح عليه السلام.

ثم التكذيب لمحمد ﷺ، هو كفرهم المعلوم لكل مسلم، مثل كفر اليهود بالمسيح عليه السلام وأبلغ»[(١)].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «هؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، هم شر من برأه الله وخلقه»[(٢)].

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما عرف الله تعالىٰ من شبّهه وجسمه من اليهود أو أجاز عليه البداء أو أضاف إليه الولد منهم، أو أضاف إليه الصاحبة والولد وأجاز الحلول عليه والانتقال والامتزاج من النصارىٰ أو وصفه بما لا يليق به

---

(١) "الجواب الصحيح علىٰ من بدل دين المسيح" (١/ ١٠٩-١١٠).

(٢) "تفسير جامع البيان" للطبري (٣٠/ ٣٣٥).

أو أضاف إليه الشريك والمعاند في خلقه من المجوس والثنوية، فمعبودهم الذي عبدوه ليس هو الله، وإن سموه به إذ ليس موصوفًا بصفات الإله الواجبة له؛ فإذن ما عرفوا الله سبحانه»[(١)].

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإجماع علىٰ كفر من لم يكفر أحداً من النصارىٰ واليهود وكل من فارق دين المسلمين أو وقف في تكفيرهم أو شك، قال القاضي أبو بكر: لأن التوقيف والإجماع اتفقا علىٰ كفرهم فمن توقف في ذلك فقد كذّب النص والتوقيف أو شك فيه، والتكذيب أو الشك فيه لا يقع إلا من كافر »[(٢)].

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا نُكفّر من لا يُكفّر من دان بغير ملّة المسلمين من الملل أو وقف فيهم أو شك أو صحّح مذهبهم، وإن أظهر بعد ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب سواه، فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك»[(٣)].

وقال الحجاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «من لم يكفر من دان بغير الإسلام كالنصارىٰ، أو

---

(١) "شرح النووي علىٰ صحيح مسلم" (١/ ٩٠).

(٢) الشفا (٢/ ٢٨٠).

(٣) الشفا (٢/ ٢٨٦).

شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم فهو كافر»[١].

وقال الشيخ عبد الله أبابطين رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد أجمع العلماء علىٰ كفر من لم يُكفر اليهود والنصارىٰ أو يشك في كفرهم هذا إجماع أهل الإسلام في قديم الدهر وحديثه استنادًا إلىٰ نصوص الوحي»[٢].

وذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ من نواقض الإسلام الثالث: «من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، كفر»[٣].

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في فتاوىٰ نور علىٰ الدرب: «اليهود والنصارىٰ كفارٌ بنص القرآن، ونص السنة، فالواجب علىٰ المكلفين من المسلمين اعتقاد كفرهم وضلالهم، ومن لم يكفرهم أو شك في كفرهم يكون مثلهم، لأنه مكذب لله ولرسوله»[٤].

وقال عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليهود خيبر: «ولأنتم أبغض إلي من عددكم من

---

(١) "كشاف القناع" (٦/ ١٧٠).

(٢) "الانتصار لحزب الموحدين والرد علىٰ المجادل عن المشركين" (ص ٤٣).

(٣) "كتاب نواقض الإسلام" (الناقض الثالث).

(٤) "مجموع الفتاوىٰ" لابن باز.

القردة والخنازير»[(١)].

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «واتفقوا علىٰ تسمية اليهود والنصارىٰ كفاراً»[(٢)].

وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يختلف اثنان من أهل الأرض - لا نقول: من المسلمين، بل من كلِّ ملةٍ - في أنَّ رسول الله ﷺ قطع بالكفر علىٰ أهل كلِّ ملةٍ غير الإسلام الذين تبرَّأ أهلُه من كل ملةٍ حاشىٰ التي أتاهم بها عليه السلام فقط»[(٣)].

وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد نصَّ الله عزَّ وجلَّ علىٰ أن اليهود يعرفون النبيَّ ﷺ كما يعرفون أبناءَهم، وأنهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام:٣٣]، وأخبر تعالىٰ عن الكفار فقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧]، فأخبر تعالىٰ أنهم يعرفون صِدْقه ولا يكذِّبونه، وهم اليهود والنصارىٰ، وهم كفار بلا خلافٍ من أحد من الأمة، ومن أنكر كفرهم فلا خلاف من أحدٍ من الأمة في كُفره

---

(١) أخبار المدينة، ابن شبه أبو زيد بن عمر النميري، (١/ ١٧٩)، وانظر أحكام أهلة الذمة لابن القيم (ص ٣٩١).

(٢) "الإجماع" (ص ١١٩).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١٤٢).

وخروجه عن الإسلام»[١].

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأنَّ من لم يُكفِّر مَن دان بغير الإسلام كالنصارىٰ أو شكَّ في تكفيرهم أو صحَّحَ مذهبهم فهو كافرٌ وإنْ أظهر مع ذلكَ الإسلام واعتقده»[٢].

وقال في شرح حديث: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار».

«وأما الحديث ففيه نسخ الملل كلها برسالة نبينا ﷺ. وقوله ﷺ: «**لا يسمع بي أحد من هذه الأمة**» أي: ممن هو موجود في زمني وبعدي إلىٰ يوم القيامة، فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته، وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيهًا علىٰ من سواهما؛ وذلك لأن اليهود والنصارىٰ لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابًا فغيرهم ممن لا كتاب له أولىٰ»[٣].

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن لم يُقرَّ ظاهرًا وباطنًا بأن الله لا يقبل دينًا سوىٰ الإسلام فليس بمسلم، ومن لم يقر بأن بعد مبعث محمد ﷺ لن

---

(١) "الفصل في الملل والنحل" (٣-٢٣٧).

(٢) "روضة الطالبين وعمدة المفتين" (١٠/ ٧٠).

(٣) "شرح صحيح مسلم" (٢/ ١٨٨) (١٥٤).

يكون مسلمًا إلا من آمن به واتبعه باطنًا وظاهرًا، فليس. بمسلم»[١].

وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغَّ اتِّباع غير دين الإسلام، أو اتِّباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ فهو كافر، وهو ككفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب»[٢].

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن اليهود والنصارىٰ كفارٌ كفرًا معلومًا بالاضطرار من دين الإسلام»[٣].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: «وقد جاء القرآن وصحَّ الإجماع بأن دين الإسلام نسخ كل دين كان قبله، وأن من التزمَ ما جاءت به التوراة والإنجيل ولم يتَّبع القرآن فإنه كافر، وقد أبطل الله كل شريعة كانت في التوراة والإنجيل وسائر الملل، وافترض علىٰ الجن والإنس شرائع الإسلام، فلا حرام إلا ما حرمه الإسلام، ولا فرض إلا ما أوجبه الإسلام»[٤].

وقال العلامة الملا علي القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنَّ من شكَّ فِي كفر اليَهُود وَالنَّصَارَىٰ، وَطَائِفَة ابن عَرَبِي، فَهوَ كَافِرٌ، وَهوَ أَمر ظاهر وحكم باهر، وأما من

---

(١) "مجموع الفتاوىٰ" (٢٧/ ٤٦٣-٤٦٤).

(٢) "مجموع الفتاوىٰ" (٢٨-٥٢٤).

(٣) "مجموع الفتاوىٰ" (٣٥-٢٠١).

(٤) "أحكام أهل الذمة" (١/ ٥٣٣).

توقَّف فَلَيسَ بمعذورٍ فِي أمره بل توقفه سَبَب كفره»[١].

وقال البهوتي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أو لم يكفِّر من دَان، أي تديَّن، بغير الإسلام كالنصارىٰ واليهود، أو شكَّ في كُفرهم، أو صحَّح مذهبهم؛ فهو كافر، لأنه مكذِّب لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥]».

وقال: «من اعتقد أن الكنائس بيوت الله، وأن الله يعبد فيها، وأن ما يفعله اليهود والنصارىٰ عبادة لله وطاعة له ولرسوله، أو أنه يحب ذلك أو يرضاه أو أعانهم علىٰ فتحها، وإقامة دينهم، وأن ذلك قربة أو طاعة فهو كافر».

وقال أيضًا في موضع ثالثٍ: «من اعتقد أن زيارة أهل الذمة في كنائسهم قربة إلىٰ الله فهو مرتد»[٢].

وقال العلامة الفقيه الأصولي بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحكم بكفر من لم يؤمن برسالة محمد ﷺ من أهل الكتاب: من الأحكام القطعية في الإسلام، فمن لم يكفرهم فهو كافر؛ لأنه مكذب لنصوص الوحيين الشريفين»[٣].

---

(١) "الرد علىٰ القائلين بوحدة الوجود" (ص: ١٥٥).

(٢) "كشاف القناع عن متن الإقناع" (٦/ ١٧٠).

(٣) "معجم المناهي اللفظية" (ص: ١٦٦).

وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه لحديث: «والذي نفسي بيده، لا يَسمعُ بي رجلٌ من هذه الأمةِ، ولا يهوديٌ، ولا نصرانيٌ، ثم لم يُؤمنْ بي، إلا كانَ من أهلِ النارِ»، قال: «والحديث صريح في أن من سمع بالنبي ﷺ وما أرسل به، وبلغه علىٰ الوجه الذي أنزله الله عليه، ثم لم يؤمن به ﷺ؛ أن مصيره إلىٰ النار، ولا فرق في ذلك بين يهودي، أو نصراني، أو مجوسي، أو لا ديني»[(١)].

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «أهل الكفر ليسوا أهلا للمغفرة بأي حال ولا يجاب لنا فيهم، ولا يحل الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة وإنما يدعىٰ لهم بالهداية وهم أحياء»[(٢)].

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الصلاة علىٰ الكافر والدعاء له بالرحمة فحرام بنص القران والإجماع»[(٣)].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا ينبغي للمؤمن أن يستغفر لكافر ولا يترحم عليه»[(٤)].

---

(١) "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (١/ ٢٩١-٢٩٢) رقم: (١٥٧).

(٢) "القول المفيد" (٢٢٠).

(٣) "المجموع" (١٤٤-٥).

(٤) "تفسير ابن أبي حاتم" (ج ٧ / ص ٢٣٥٨).

قال مقاتل بن حيان رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تصلِّ علىٰ كافر مات، ولا تدعُ له بالرحمة»[١].

وقال ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا ينبغي للمؤمن أن يقول عند موت كافر: رَحِمَهُ اللَّهُ»[٢].

وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمع أهل العلم أن الاستغفار لا يجوز لكافر مات علىٰ شركه»[٣].

قال ابن المنذر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمعوا علىٰ أن الكافر لا يُدعىٰ له بالمغفرة»[٤].

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنّة والإجماع»[٥].

هذا باختصار شديد.

---

(١) "تفسير ابن أبي حاتم" (٧/ ٢٣٣٦).

(٢) انظر: "تفسير ابن أبي حاتم" (٧/ ٢٣٥٨).

(٣) "تفسير الطبري" (١٤/ ٤٧٦).

(٤) "الإجماع لابن المنذر" (ص ١١٩).

(٥) "مجموع الفتاوىٰ" (١٢/ ٤٨٩).

جواز الدعاء للكافر بالهداية حال حياته

إن الدعاء باب عظيم من أبواب الرحمة، ووسيلة جليلة من وسائل البلاغ، يرفعه المؤمن إلىٰ ربٍّ كريمٍ جوادٍ بيده مقاليد الهداية ومصائر العباد.

وليس الدعاء للكافر بالهداية في حياته إلا امتدادًا لرسالة الأنبياء، إذ لم يبعثوا إلا دعاةً إلىٰ الحق، يزرعون في القلوب بذور النور، ويستنقذون الناس من ظلمات الكفر والجهل إلىٰ هدىٰ الإسلام وعدل التوحيد.

ومن تأمل سيرة سيد المرسلين ﷺ، علم يقينًا أن قلبه كان مفعمًا رحمةً بالخلق، حريصًا علىٰ إنقاذهم من الردىٰ، حتىٰ قال الله تعالىٰ فيه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾ [الكهف:٦].

فالمؤمن حين يرفع يديه داعيًا بالهداية لغير المسلم وهو حي، إنما يسلك سبيل الرحمة لا سبيل المجاملة، ويرجو له حياةً أفضل في الدنيا وعاقبةً أسعد في الآخرة.

وما ذاك إلا لأن الهداية أجلُّ نعمةٍ يُعطاها الإنسان، بل هي سرّ النجاة، ومفتاح الجنان، وسبب الخلاص من أهوال النيران.

فالمسلم لا يرضىٰ للكافر أن يبقىٰ حبيس الضلالة، وأن يُساق إلىٰ العذاب، بل يستبشر أن يشرح الله صدره للإسلام، ويجعله من أهل النجاة والرضوان.

ومن هنا كان الدعاء للكافر بالهداية في حياته عملًا محمودًا، يجمع بين صدق الولاء لله، والشفقة علىٰ عباد الله، والاقتداء بهدي رسل الله، الذين قالوا جميعًا: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف:٨٩].

فهو دعاء يخرج من قلبٍ مشفق، ويعلو إلىٰ ربٍّ رحيم، فيكون به صلاح القلوب، ونور الدروب، وبشارة الرجاء لمن أراد الله به خيرًا وما قول رسول الله ﷺ عنا ببعيد كما تقدم حين قال لما أسلم اليهودي: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».

وعنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ الْيَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ يَرْحَمُكُمْ اللهُ، فَيَقُولُ: « يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»[(١)].

وحديث دعاء النبي ﷺ لأم أبي هريرة فقال: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ»[(٢)].

يتبين لنا من هذا أن الدعاء للكافر بعد موته محرم بالإجماع.

وأما الدعاء بالرحمة والمغفرة للكافر الحي: فثمة أقوال كثيرة للعلماء في جواز ذلك، لا علىٰ معنىٰ مغفرة شركه وكفره إن مات عليهما، ولا أن يرحمه ربه تعالىٰ وقد لقيه كافراً، ولكن ذلك الدعاء محمول علىٰ تحقيق ما يكون سببًا في مغفرته ورحمته وهو أن يوفَّق للإسلام، وهذا أحد الوجوه التي يُحمل عليها

(١) رواه الترمذي (٢٧٣٩) وأبو داود (٥٠٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩١).

قوله تعالىٰ – علىٰ لسان إبراهيم عليه السلام –: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم:٣٦].

وقوله ﷺ: «اللهُمَّ اِغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»(١).

قال بدر الدين العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح حديث: «اللهُمَّ اِغْفِرْ لِقَوْمِي»: «معناه: اهدهم إلىٰ الإسلام الذي تصح معه المغفرة؛ لأن ذنب الكفر لا يُغفر، أو يكون المعنىٰ: اغفر لهم إن أسلموا»(٢).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد قال كثير من العلماء: لا بأس أن يدعوَ الرجل لأبويه الكافرين ويستغفر لهما ما داما حيَّيْن، فأما من مات: فقد انقطع عنه الرجاء فلا يُدعىٰ له»(٣).

وقال الآلوسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتحقيق في هذه المسألة: أن الاستغفار للكافر الحي المجهول العاقبة، بمعنىٰ طلب هدايته للإيمان مما لا محذور فيه عقلاً ونقلاً، وطلب ذلك للكافر المعلوم أنه قد طُبع علىٰ قلبه وأَخبر الله تعالىٰ أنه لا يؤمن وعلم أن لا تعليق في أمره أصلا: مما لا مساغ له عقلاً ونقلاً، ومثله طلب المغفرة للكافر مع بقائه علىٰ الكفر علىٰ ما ذكره بعض المحققين، وكان ذلك –

---

(١) رواه البخاري (٣٤٩٠) ومسلم (١٧٩٢).

(٢) "عمدة القاري شرح صحيح البخاري" (٢٣ / ١٩) .

(٣) "تفسير القرطبي" (٨/ ٢٧٤).

علىٰ ما قيل - لما فيه من إلغاء أمر الكفر الذي لا شيء يعدله من المعاصي، وصيرورة التكليف بالإيمان - الذي لا شيء يعدله من الطاعات - عبثًا، مع ما في ذلك مما لا يليق بعظمة الله عز وجل»[(١)].

ويقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتح: «المراد بالمغفرة في قوله في الحديث الآخر: «اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» العفو عما جنوه عليه في نفسه لا محو ذنوبهم كلها لأن ذنب الكفر لا يمحىٰ، أو المراد بقوله: «اغفر لهم» اهدهم إلىٰ الإسلام الذي تصح معه المغفرة، أو المعنىٰ اغفر لهم إن أسلموا، والله أعلم».

❁ فتوى الإمام عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك:

❁ السؤال:

ما حكم الدعاء للكفار والمبتدعة بالهداية والصلاح، وهل هناك خلاف بين أهل العلم في ذلك، وما الراجح في ذلك؟

❁ الجواب:

«الهداية مطلوبة من الجميع، طلب الهداية مطلوب من الجميع من الكافر والعاصي وغيرهما، كُلٌّ بحاجة إلىٰ الهداية، وأنت تقرأ في كل ركعة اهْدِنَا

---

(١) "روح المعاني" (١٦ / ١٠١).

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ أنت تطلب الهداية وأنت مؤمن، تطلب الهداية والثبات علىٰ الحق والمزيد من الهداية، كُلٌّ محتاج للهداية، النبي ﷺ قيل له: إن دوسًا كفرت وعصت قال ﷺ: «اللهم اهدْ دوسًا وائت بهم، اللهم اهد دوسًا وائت بهم»، ودعا لكثير من الكفرة فهداهم الله.

وإذا كان ظالمًا مؤذيًا دُعي عليه بالهلاك أيضًا، يجوز الدعاء عليه بالهلاك والدعاء له بالهداية، هذا جائز وهذا جائز، ولاسيما إذا آذوا الناس وأضروا الناس؛ فهم أوْلىٰ بأن يدعىٰ عليهم بالهلاك لبُعد هدايتهم، وإذا كانوا كفّوا شرهم دُعي لهم بالهداية وأن الله يهديهم للحق وأن الله يبصّرهم»[1].

وفي الموسوعة الفقهية الكويتية: «وأما من استغفر للكافر الحي رجاء أن يؤمن فيغفر له، فقد صرح الحنفية بإجازة ذلك، وجوز الحنابلة الدعاء بالهداية، ولا يستبعد ذلك من غيرهم، كذلك استظهر بعضهم جواز الدعاء لأطفال الكفار بالمغفرة، لأن هذا من أحكام الآخرة.

تبين لنا من هذه الأدلة أن الدعاء للكافر حال حياته بالهداية، وبأن يشرح الله صدره للإسلام، ويخرجه من الظلمات إلىٰ النور، دعاءٌ مشروعٌ دلّت عليه النصوص، وهو من أعظم أبواب الرحمة التي يُرجىٰ بها إنقاذ العبد من الخسران المبين؛ فقد دعا النبي ﷺ لأقوام من المشركين بالهداية فاهتدوا، فكانوا من

(١) "المعاصي تطفئ من القلب نار الغيرة" (٠٢).

أعلام الأمة ونصرتها. فالمؤمن يتمنىٰ للخلق أجمعين الخير والهداية، لأن في ذلك حياة القلوب وسعادتها الأبدية.

أما إذا مات الكافر علىٰ كفره، فقد انقطع عمله ورُفع القلم عنه، وصار إلىٰ ما قدّم، فلا ينفعه حينئذ دعاءُ داعٍ ولا استغفارُ مستغفر، بل قد سدّت دونه أبواب الرحمة كما سدّ القرآنُ سبيل الاستغفار لهم: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣]، فالتفريق بين حال الحياة وحال الممات أصلٌ عظيم في هذا الباب، يجمع بين الرحمة بالخلق، والاتباع لنصوص الشرع، والوقوف عند حدود الله».

فتاوى العلماء

فتوى اللجنة الدائمة:

كفر أهل الكتاب ممن لم يؤمنوا برسالة محمد ﷺ.

السؤال الثالث من الفتوى رقم: (٩٤٣٨):

السؤال: لقد صرح القرآن الكريم بتكفير أهل الكتاب إلا الذين آمنوا برسالة محمد ﷺ (القرآن)، أما الذين قالوا من اليهود: إن عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، والعياذ بالله. وصرح القرآن الكريم بتكفيرهم: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ [المائدة:٧٣] الآية.

ولكن مع هذه الحجة القطعية وجدنا بعض العلماء يقولون: إن أهل الكتاب ليسوا كفارا، وإنما كانوا أهل الكتاب فقط.. أفيدونا عن هذه المسائل.

الجواب: من قال ذلك فهو كافر؛ لتكذيبه بما جاء في القرآن والسنة من التصريح بكفرهم، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٧٠﴾ [آل عمران:٧٠].

وقال: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة:١٧].

وقال: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ [المائدة:٧٣].

وقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ

قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ [التوبة:٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ [البينة:١].

وقال: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ [التوبة:٢٩] إلىٰ غير ذلك من الآيات الكثيرة.

وبالله التوفيق. وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو ... نائب رئيس اللجنة ... الرئيس

عبد الله بن غديان ... عبد الرزاق عفيفي ... عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

كتاب فتاوىٰ اللجنة الدائمة - المجموعة الأولىٰ(٢-٣١).

۞ فتوى أخرى اللجنة الدائمة:

وسئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن من لم يُكفر اليهود والنصارىٰ ويقول عنهم "أهل كتاب" فقط؟! فقالت: "من قال ذلك فهو كافر؛ لتكذيبه بما جاء في القرآن والسنة من التصريح بكفرهم، قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ [آل عمران:٧٠]، وقال: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:١٧].

وقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة:٧٣-٧٥].

وقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة:٣٠-٣٢].

وقال تعالىٰ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞۚ ﴿٣﴾﴾ [البينة:١-٣].

وقال: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٖ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة:٢٩] إلىٰ غير ذلك من الآيات الكثيرة.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

الرئيس: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

نائب رئيس اللجنة: عبدالرزاق عفيفي.

عضو: عبدالله بن غديان.

فتاوىٰ اللجنة الدائمة (٢/ ١٨).

۞ فتوى العلامة عبد العزيز بن باز $:

السؤال: ما حكم مَن لم يكفِّر اليهود والنصارىٰ؟

فأجاب: هو مثلهم، مَن لم يكفر الكفار: فهو مثلهم، الإيمان بالله هو تكفير من كفر به، ولهذا جاء في الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «من وحَّد الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه علىٰ الله»، ويقول جل وعلا: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة:٢٥٦].

فلا بد من الإيمان بالله، وتوحيده والإخلاص له، والإيمان بإيمان المؤمنين، ولا بد من تكفير الكافرين، الذين بلغتهم الشريعة ولم يؤمنوا، كاليهود، والنصارىٰ، والمجوس، والشيوعيين، وغيرهم، ممن يوجد اليوم، وقبل اليوم، ممن بلغتهم رسالة الله ولم يؤمنوا، فهم من أهل النار كفار، نسأل الله العافية[(١)].

---

(١) "فتاوىٰ الشيخ ابن باز" (٢٨ / ٤٦ ، ٤٧).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في جوابه علىٰ مقال إننا نحترم الكفار! ولا عداوة بيننا: «الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد:

فقد نشرت بعض الصحف المحلية تصريحا لبعض الناس قال فيه ما نصه: «إننا لا نكن العداء لليهود واليهودية وإننا نحترم جميع الأديان السماوية»، وذلك في معرض حديثه عن الوضع في الشرق الأوسط بعد العدوان اليهودي علىٰ العرب، ولما كان هذا الكلام في شأن اليهود واليهودية يخالف صريح الكتاب العزيز والسنة المطهرة، ويخالف العقيدة الإسلامية وهو تصريح يخشىٰ أن يغتر به بعض الناس، رأيت التنبيه علىٰ ما جاء فيه من الخطأ نصحا لله ولعباده.. فأقول: دل الكتاب والسنة وإجماع المسلمين علىٰ أنه يجب علىٰ المسلمين أن يعادوا الكافرين من اليهود والنصارىٰ وسائر المشركين، وأن يحذروا مودتهم واتخاذهم أولياء قد دل الكتاب والسنة وإجماع المسلمين علىٰ أنه يجب علىٰ المسلمين أن يعادوا الكافرين من اليهود والنصارىٰ وسائر المشركين، وأن يحذروا مودتهم واتخاذهم أولياء، كما أخبر الله سبحانه في كتابه المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أن اليهود والمشركين هم أشد الناس عداوة للمؤمنين.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة:١]، إلىٰ قوله سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ

مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة:٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة:٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [التوبة:٢٣].

وقال عز وجل في شأن اليهود: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ [المائدة:٨٠-٨٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة:٢٢].

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة، وهي تدل دلالة صريحة علىٰ وجوب بغض الكفار من اليهود والنصارىٰ وسائر المشركين وعلىٰ وجوب معاداتهم حتىٰ يؤمنوا بالله وحده، وتدل أيضا علىٰ تحريم مودتهم وموالاتهم وذلك يعني بغضهم والحذر من مكائدهم وما ذاك إلا لكفرهم بالله وعدائهم لدينه ومعاداتهم لأوليائه وكيدهم للإسلام وأهله، كما قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى

صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ ۖ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران:١١٨-١٢٠].

ففي هذه الآيات الكريمات حث المؤمنين علىٰ بغض الكافرين، ومعاداتهم في الله سبحانه من وجوه كثيرة، والتحذير من اتخاذهم بطانة، والتصريح بأنهم لا يقصرون في إيصال الشر إلينا، وهذا هو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران:١١٨] والخبال هو: الفساد والتخريب. وصرح سبحانه أنهم يودون عنتنا، والعنت: المشقة، وأوضح سبحانه أن البغضاء قد بدت من أفواههم وذلك فيما ينطقون به من الكلام لمن تأمله وتعقله وما تخفي صدورهم أكبر من الحقد والبغضاء ونية السوء لنا أكبر مما يظهرونه، ثم ذكر سبحانه وتعالىٰ أن هؤلاء الكفار قد يتظاهرون بالإسلام نفاقا ليدركوا مقاصدهم الخبيثة وإذا خلوا إلىٰ شياطينهم عضوا علىٰ المسلمين الأنامل من الغيظ، ثم ذكر عز وجل أن الحسنات التي تحصل لنا من العز والتمكين والنصر علىٰ الأعداء ونحو ذلك تسوءهم وأن ما يحصل لنا من السوء كالهزيمة والأمراض ونحو ذلك يسرهم وما ذلك إلا لشدة عداوتهم وبغضهم لنا ولديننا.

ومواقف اليهود من الإسلام ورسول الإسلام وأهل الإسلام كلها تشهد لما دلت عليه الآيات الكريمات من شدة عداوتهم للمسلمين، والواقع من اليهود في

عصرنا هذا وفي عصر النبوة وفيما بينهما من أكبر الشواهد علىٰ ذلك، وهكذا ما وقع من النصارىٰ وغيرهم من سائر الكفرة من الكيد للإسلام ومحاربة أهله، وبذل الجهود المتواصلة في التشكيك فيه والتنفير منه والتلبيس علىٰ متبعيه وإنفاق الأموال الضخمة علىٰ المبشرين بالنصرانية والدعاة إليها، كل ذلك يدل علىٰ ما دلت عليه الآيات الكريمات من وجوب بغض الكفار جميعا والحذر منهم ومن مكائدهم ومن اتخاذهم بطانة.

فالواجب علىٰ أهل الإسلام أن ينتبهوا لهذه الأمور العظيمة وأن يعادوا ويبغضوا من أمرهم الله بمعاداته وبغضه من اليهود والنصارىٰ وسائر المشركين حتىٰ يؤمنوا بالله وحده، ويلتزموا بدينه الذي بعث به نبيه محمدا ﷺ، وبذلك يحققون اتباعهم ملة أبيهم إبراهيم ودين نبيهم محمد ﷺ الذي أوضحه الله في الآية السابقة، وهي قوله عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة:٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧]، وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة:٥٧]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾

[المائدة:٨٢]، دلالة ظاهرة علىٰ أن جميع الكفار كلهم أعداء للمؤمنين بالله سبحانه وبرسوله محمد ﷺ، ولكن اليهود والمشركين عباد الأوثان أشدهم عداوة للمؤمنين، وفي ذلك إغراء من الله سبحانه للمؤمنين علىٰ معاداة الكفار والمشركين عموما وعلىٰ تخصيص اليهود والمشركين بمزيد من العداوة في مقابل شدة عداوتهم لنا، وذلك يوجب مزيد الحذر من كيدهم وعداوتهم.

ثم إن الله سبحانه مع أمره للمؤمنين بمعاداة الكافرين أوجب علىٰ المسلمين العدل في أعدائهم فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨﴾ [المائدة:٨]، فأمر سبحانه المؤمنين أن يقوموا بالعدل مع جميع خصومهم، ونهاهم أن يحملهم بغض قوم علىٰ ترك العدل فيهم وأخبر عز وجل أن العدل مع العدو والصديق هو أقرب للتقوىٰ والمعنىٰ: أن العدل في جميع الناس من الأولياء والأعداء هو أقرب إلىٰ اتقاء غضب الله وعذابه.

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠]، وهذه الآية الكريمة من أجمع الآيات في الأمر بكل خير والنهي عن كل شر، ولهذا روي أن النبي ﷺ لما بعث عبدالله بن رواحة الأنصاري إلىٰ خيبر ليخرص علىٰ اليهود ثمرة النخل، وكان النبي ﷺ قد عاملهم علىٰ نخيلها وأرضها بنصف ثمرة النخل والزرع، فخرص عليهم عبدالله ثمرة النخل، فقالوا له إن هذا الخرص فيه

ظلم، فقال لهم عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والذي نفسي بيده إنكم لأبغض إلي من عدتكم من القردة والخنازير، وإنه لن يحملني بغضي لكم وحبي لرسول الله ﷺ علىٰ أن أظلمكم» فقال اليهود: بهذا قامت السموات والأرض، فالعدل واجب في حق القريب والبعيد والصديق والبغيض، ولكن ذلك لا يمنع من بغض أعداء الله ومعاداتهم ومحبة أولياء الله المؤمنين وموالاتهم، عملا بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، والله المستعان.

أما قول الكاتب: «وإننا نحترم جميع الأديان السماوية» فهذا حق ولكن ينبغي أن يعلم القارئ أن الأديان السماوية قد دخلها من التحريف والتغيير ما لا يحصيه إلا الله سبحانه ما عدا دين الإسلام الذي بعث الله به نبيه وخليله وخيرته من خلقه نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبدالله ﷺ فقد حمله الله وحفظه من التغيير والتبديل، وذلك بحفظه لكتابه العزيز وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، حيث قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر:٩]، فقد حفظ الله الدين وصانه من مكايد الأعداء بجهابذة نقاد أمناء، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وكذب المفترين وتأويل الجاهلين، فلا يقدم أحد علىٰ تغيير أو تبديل إلا فضحه الله وأبطل كيده.

أما الأديان الأخرىٰ فلم يضمن حفظها سبحانه، بل استحفظ عليها بعض عباده فلم يستطيعوا حفظها، فدخلها من التغيير والتحريف ما الله به عليم كما قال عز وجل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ

هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ [المائدة:٤٤].

وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة:٤١].

وقال عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة:٧٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران:٧٨]، الآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

أما ما كان من الأديان السماوية السابقة سليم من التغيير والتبديل فقد نسخه الله ببعث رسول الله ﷺ وإنزاله القرآن الكريم، فإن الله سبحانه أرسل رسوله محمدا ﷺ إلىٰ الناس كافة ونسخ بشريعته سائر الشرائع، وجعل كتابه الكريم مهيمنا علىٰ سائر الكتب السماوية. علىٰ جميع أهل الأرض من الجن والإنس سواء كانوا من اليهود أو النصارىٰ أو غيرهم من سائر أجناس بني آدم، ومن سائر أجناس الجن أن يدخلوا في دين الله الذي بعث به خاتم الرسل إلىٰ الناس عامة وأن يلتزموا به ويستقيموا عليه، لأنه هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه، فالواجب علىٰ جميع أهل الأرض من الجن والإنس سواء كانوا من اليهود أو النصارىٰ أو غيرهم من سائر أجناس بني آدم، ومن سائر أجناس

الجن أن يدخلوا في دين الله الذي بعث به خاتم الرسل إلىٰ الناس عامة وأن يلتزموا به ويستقيموا عليه؛ لأنه هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه، كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [آل عمران:١٩-٢٠].

وقال عز وجل: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة:١٣٦-١٣٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥]، وقال تعالىٰ في سورة المائدة بعد ما ذكر التوراة والإنجيل يخاطب نبيه محمدا ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة:٤٨-٥٠].

ففي هذه الآيات الكريمات الدلالة الظاهرة والبرهان القاطع علىٰ وجوب

الحكم بين اليهود والنصارىٰ وسائر الناس بما أنزل الله علىٰ نبيه محمد ﷺ وعلىٰ أنه لا إسلام لأحد ولا هداية إلا باتباع ما جاء به، وأن ما يخالف ذلك فهو في حكم الجاهلية وأنه لا حكم أحسن من حكم الله، وقال تعالىٰ في سورة الأعراف: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف:١٥٦-١٥٧].

ففي هذه الآية الكريمة الدليل القاطع والحجة الدامغة علىٰ عموم بعثة النبي ﷺ لليهود والنصارىٰ وأنه بعث بالتخفيف عنهم، وأنه لا يحصل الفلاح لكل من كان في زمانه من الأمم وهكذا ما بعد ذلك إلىٰ قيام الساعة إلا بالإيمان به ونصره وتعزيره واتباع النور الذي أنزل معه. ثم قال سبحانه بعد ذلك تأكيدا للمقام وبيانا لعموم الرسالة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف:١٥٨].

ومن هذه الآية وما قبلها من الآيات يتضح لكل عاقل أن الهداية والنجاة والسعادة إنما تحصل لمن آمن بمحمد ﷺ واتبع ما جاء به من الهدىٰ، ومن

حاد عن ذلك فهو في شقاق وضلال وبعد عن الهدىٰ، بل هو الكافر حقا وله النار يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود:١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وقال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان:١].

وفي الصحيحين عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة وبعثت إلىٰ الناس عامة.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار.

والآيات والأحاديث في هذا المعنىٰ كثيرة، وأرجو أن يكون فيما ذكرناه دلالة ومقنع للقارئ علىٰ وجوب معاداة الكفرة من اليهود وغيرهم وبغضهم في الله وتحريم مودتهم واتخاذهم أولياء، وعلىٰ نسخ جميع الشرائع السماوية ما عدا شريعة الإسلام التي بعث الله بها خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين نبينا محمد بن عبدالله ﷺ، وعلىٰ سائر النبيين والمرسلين، وجعلنا من

اتباعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين إنه علىٰ كل شيء قدير.

وليس معنىٰ نسخ الشرائع السابقة أنها لا تحترم، أو أنه يجوز التنقص منها، ليس هذا المعنىٰ هو المراد، وإنما المراد رفع ما قد يتوهمه بعض الناس أنه يسوغ اتباع شيء منها، أو أن من انتسب إليها من اليهود أو غيرهم يكون علىٰ هدىٰ، بل هي شرائع منسوخة لا يجوز اتباع شيء منها لو علمت علىٰ التحقيق وسلمت من التغيير والتبديل، فكيف وقد جهل الكثير منها، لما أدخل فيها من تحريف أعداء الله الذين يكتمون الحق وهم يعلمون ويكذبون علىٰ الله وعلىٰ دينه ما تقتضيه أهواؤهم ويكتبون الكتب من عندهم وبأيديهم ويقولون: إنها من عند الله.

وبذلك يعلم كل من له أدنىٰ علم وبصيرة أن الواجب علىٰ جميع المكلفين من الجن والإنس أن يدخلوا في دين الله الذي هو الإسلام وأن يلتزموه، وأنه لا يسوغ لأحد الخروج عن ذلك لا إلىٰ يهودية ولا إلىٰ نصرانية ولا إلىٰ غيرهما، بل المفروض علىٰ جميع المكلفين من حين بعث الله نبيه ورسوله محمدا ﷺ إلىٰ قيام الساعة هو الدخول في الإسلام والتمسك به، ومن اعتقد أنه يسوغ له الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسىٰ كليم الرحمن عليه الصلاة والسلام فهو كافر بإجماع أهل العلم، يستتاب وتُبَيَّن له الأدلة فإن تاب وإلا قتل، عملا بما تقدم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة علىٰ عموم رسالة محمد ﷺ إلىٰ جميع الثقلين.

والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل، ونسأله عز وجل أن يثبتنا علىٰ دينه وأن يصلح أحوال المسلمين جميعا، وأن يمن علىٰ عباده بالدخول في دينه، والكفر بما خالفه، إنه علىٰ كل شيء قدير، وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله محمد وعلىٰ سائر النبيين والمرسلين وسائر الصالحين، والحمد لله رب العالمين[١].

۞ فتوى أخرى لابن باز $:

ما حكم من لم يكفر اليهود والنصارىٰ؟

الجواب:

هو مثلهم، من لم يكفر الكفار فهو مثلهم، الإيمان بالله هو تكفير من كفر به، ولهذا جاء في الحديث الصحيح، يقول النبي ﷺ: من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه علىٰ الله، ويقول جل وعلا: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة:٢٥٦]، فلا بد من الإيمان بالله، وتوحيده والإخلاص له، والإيمان بإيمان المؤمنين، ولا بد من تكفير الكافرين، الذين بلغتهم الشريعة ولم يؤمنوا، كاليهود والنصارىٰ والمجوس والشيوعيين وغيرهم، ممن يوجد اليوم وقبل

---

(١) "مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة" للشيخ ابن باز (٢/ ١٧٨).

اليوم، ممن بلغتهم رسالة الله ولم يؤمنوا، فهم من أهل النار كفار، نسأل الله العافية[١].

❁ فتوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

عمَّا زعمه أحد الوعاظ في مسجد من مساجد (أوربا) من أنه لا يجوز تكفير اليهود والنصارىٰ؟

فأجاب – بعد أن ساق بعض الآيات السابقة –:

... فمَّن أنكر كفر اليهود والنصارىٰ الذين لم يؤمنوا بمحمَّدٍ ﷺ، وكذبوه: فقد كذَّب الله عز وجل، وتكذيب الله: كفر، ومن شك في كفرهم: فلا شك في كفره هو.

ويا سبحان الله! كيف يرضىٰ هذا الرجل أن يقول: إنه لا يجوز إطلاق الكفر علىٰ هؤلاء وهم يقولون: "إن الله ثالث ثلاثة"، وقد كفرهم خالقهم عز وجل؟ وكيف لا يرضىٰ أن يكفر هؤلاء وهم يقولون: "إن المسيح ابن الله"، ويقولون: "يد الله مغلولة"، ويقولون: "إن الله فقير ونحن أغنياء"؟! كيف لا يرضىٰ أن يكفر هؤلاء وأن يطلق كلمة الكفر عليهم وهم يصفون ربهم بهذه الأوصاف السيئة التي كلها عيب، وشتم، وسب ؟! .

---

(١) "مجموع فتاوىٰ ومقالات" الشيخ ابن باز (٢٨/ ٤٦).

وإني أدعو هذا الرجل، أدعوه: أن يتوب إلىٰ الله عز وجل، وأن يقرأ قول الله تعالىٰ: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ [القلم:٩]، وألا يداهن هؤلاء في كفرهم، وأن يبين لكل أحد أن هؤلاء كفار، وأنهم من أصحاب النار، قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمة - أي: أمة الدعوة - ثم لا يتبع ما جئت به - أو قال: لا يؤمن بما جئت به - إلا كان من أصحاب النار».

فعلىٰ هذا القائل أن يتوب إلىٰ ربه من هذا القول العظيم الفرية، وأن يعلن إعلانًا صريحًا بأن هؤلاء كفرة، وأنهم من أصحاب النار، وأن الواجب عليهم أن يتبعوا النبي الأمي محمَّداً ﷺ، فإنه مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧﴾ [الأعراف:١٥٧].

وإني أقول: إن كل مَن زعم أن في الأرض دينًا يقبله الله سوىٰ دين الإسلام: فإنه كافر، لا شك في كفره؛ لأن الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران:٨٥]، ويقول عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وعلىٰ هذا - وأكررها مرة ثالثة -: علىٰ هذا القائل أن يتوب إلىٰ الله عز وجل، وأن يبين للناس جميعًا أن هؤلاء اليهود والنصارىٰ كفار؛ لأن الحجة قد قامت عليهم، وبلغتهم الرسالة، ولكنهم كفروا عناداً ... وهذا أمر لا إشكال فيه،

والله المستعان[١].

وأيضا هذه جملة جميلة لابن عثيمين أدرجتها في هذا الفصل:

قال: «أو سخر بوعد الله، أو بوعيده، أو لم يكفِّر من دان بغير الإسلام، كالنصارىٰ، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم».

هذه مسألة خطيرة، إذا لم يكفِّر من دان بغير الإسلام فهو كافر، فهناك أناس جهال سفهاء، يقولون: إنه لا يجوز أن نكفر اليهود والنصارىٰ، فكيف لا تكفرهم، وهم الذين يصفون ربك بكل عيب؟!

وكيف لا تكفر من قال: إن ربك ثالث ثلاثة؟!

ولماذا لا تكفر من يقول: إن ربك له أبناء؟!

ولماذا لا تكفر من يقول: إن يدي ربك مغلولة؟!

ولماذا لا تكفر من يقول: إن الله فقير؟!

إذا قالوا هذا، قلنا: أنتم كفار، ولا شك في كفر من شك في كفركم، ولا أحد يشك في أن اليهود والنصارىٰ والمجوس والوثنيين كلهم كفار، ولو قالوا: آمنا بالله، نقول: كذبتم، أنتم كافرون بالله العظيم وبرسله، والواجب علينا أن نصيح بهم صيحة، تملأ آذانهم بأنهم كفار، وأن نتبرأ منهم براءة الذئب من دم يوسف،

---

[١] "مجموع فتاوىٰ الشيخ العثيمين" (٣/ جواب السؤال رقم: ٣٨٦) باختصار.

أما أن نداهنهم، ونصانعهم، ونقول لهم: أنتم إخواننا في الدين، أنتم علىٰ دين سماوي، ونحن علىٰ دين سماوي، وما الخلاف بيننا وبينكم إلا كالخلاف بين الإمام أحمد والشافعي ـ نسأل الله العافية ـ فهذا عين الكفر، وقد حُدِّثتُ أن بعض القائمين علىٰ اتحادات في بلاد الغرب يقولون مثل هذا القول، وأنا أشهدكم أننا منهم بريئون ما داموا يقولون بهذا القول، بل إن دين الإسلام منهم بريء، وأنهم يجب عليهم أن يتوبوا إلىٰ الله ـ عزّ وجل ـ ويرجعوا إلىٰ دينهم، ويقولوا قولاً يفخرون به، وهو: أننا نكفر كل من كفره الله عزّ وجل، والأمر ليس إلينا ولا إليهم، الأمر إلىٰ الله، فمن كفَّره الله فهو كافر، ومن لم يكفره الله فليس بكافر، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ يقول: إن الذي لا يكفِّر من دان بغير الإسلام فهو كافر، وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنه إذا لم يكفره فإن قوله يستلزم أن يقبل الله دينه، وهذا يستلزم تكذيب قول الله ـ عزّ وجل ـ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [آل عمران:٨٥-٨٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩] فقط، لا غير.

قال: «أو قال قولاً يتوصل به إلىٰ تضليل الأمة، أو تكفير الصحابة فهو كافر».

و قال الشيخ (شيخ الإسلام): من اعتقد أن الكنائس بيوت الله، وأن الله يُعبد فيها، وأن ما يفعل اليهود والنصارىٰ عبادة لله، وطاعة له، ولرسوله، أو أنه يحب

ذلك ويرضاه، أو أعانهم علىٰ فتحها، وإقامة دينهم، وأن ذلك قربة، أو طاعة فهو كافر» وكثير من الناس مبتلىٰ بهذا اليوم، يعتقدون أن الكنائس بيوت الله، وأنها محل عبادته وطاعته، وأن هؤلاء الذين يزعمون أنهم يتقربون إلىٰ الله بها هم متقربون إليه، وهذا كفر.

فالمسألة خطيرة؛ لأن دين الإسلام واحد، فالدين الذي ارتضاه الله لعباده هو الدين الذي جاء به محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ فما عدا ذلك فليس بدين، وإن اتخذه أصحابه دينًا، لكنه دين يعبد به الشيطان، أما الرحمن فكلا والله.

وقال في موضع آخر: «من اعتقد أن زيارة أهل الذمة كنائسَهم قربة إلىٰ الله فهو مرتد، وإن جهل أن ذلك محرم عُرّف ذلك، فإن أصر صار مرتداً، وقال: قول القائل: «ما ثَمَّ إلا الله» إن أراد ما يقوله أهل الاتحاد، من أن ما ثَمَّ موجود إلا الله، ويقولون: إن وجود الخالق هو وجود المخلوق، والخالق هو المخلوق، والمخلوق هو الخالق، والعبد هو الرب، والرب هو العبد، ونحو ذلك من المعاني، وكذلك الذين يقولون: إن الله تعالىٰ بذاته في كل مكان، ويجعلونه مختلطًا بالمخلوقات، يستتاب، فإن تاب وإلا قتل».

وقال: «من اعتقد أن لأحد طريقًا إلىٰ الله من غير متابعة محمد ﷺ، أو لا يجب عليه اتباعه، وأن له، أو لغيره خروجًا عن اتباعه، وأَخْذِ ما بُعث به، أو قال: أنا محتاج إلىٰ محمد في علم الظاهر، دون علم الباطن، أو في علم الشريعة

دون علم الحقيقة، أو قال: إن من الأولياء من يسعه الخروج من شريعته، كما وسع الخَضِرَ الخروجُ عن شريعة موسىٰ، أو إن هُدىٰ غير النبي ﷺ أكمل من هديه فهو كافر» كل هذا قد قيل به، وشيخ الإسلام يرىٰ أنه كافر، فمن زعم ذلك كان كافراً مرتداً، بل إن من زعم أن هناك هديًا مساويًا لهدي النبي ﷺ فهو كافر»[(١)].

۞ وفي الموسوعة الفقهية الكويتية:

التَّرَحُّمُ عَلَىٰ الْكُفَّارِ:

صَرَّحَ النَّوَوِيُّ فِي كِتَابِهِ الأَذْكَارِ بِأَنَّهُ لاَ يَجُوزُ أَنْ يُدْعَىٰ لِلذِّمِّيِّ بِالْمَغْفِرَةِ وَمَا أَشْبَهَهَا فِي حَال حَيَاتِهِ مِمَّا لاَ يُقَال لِلْكُفَّارِ، لَكِنْ يَجُوزُ أَنْ يُدْعَىٰ لَهُ بِالْهِدَايَةِ، وَصِحَّةِ الْبَدَنِ وَالْعَافِيَةِ وَشِبْهِ ذَلِكَ[(٢)].

لِحَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: اسْتَسْقَىٰ النَّبِيُّ ﷺ فَسَقَاهُ يَهُودِيٌّ، فَقَال لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: جَمَّلَكَ اللهُ فَمَا رَأَىٰ الشَّيْبَ حَتَّىٰ مَاتَ.

حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «استسقىٰ النبي ﷺ فسقاه يهودي...».

وَأَمَّا بَعْدَ وَفَاتِهِ فَيَحْرُمُ الدُّعَاءُ لِلْكَافِرِ بِالْمَغْفِرَةِ وَنَحْوِهَا؛ لِقَوْل اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَا

---

(١) انتهىٰ من "الشرح الممتع" (١٤/ ٤٣٢).

(٢) "الأذكار (ص ٢٨٢)، و"الفتوحات الربانية" (٦ / ٢٦٢).

كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة:١١٣]، وَقَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ بِمَعْنَاهُ، وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ تدريب الراوي[1].

وهذا مقال جميل لشيخنا العلامة عبد العزيز الريس -حفظه الله ورعاه-.

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فإنه لا يزال المنافقون ساعين سعيًا حثيثًا لإفساد الإسلام تارةً برد حُجِّية السنة، وتارةً بتحريف معاني القرآن كزعم طائفة منهم أن اليهود والنصارىٰ ليسوا كفارًا لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢].

ثم زاد الأمر سوءً لما وافقهم بعض دعاة السوء والضلالة فزعموا أن اليهود والنصارىٰ مؤمنون!! وقد نصَّ القرآن بوضوح علىٰ كفر اليهود والنصارىٰ بعد بعثة النبي ﷺ ونزول القرآن، وإليك بعض الأدلة علىٰ ذلك:

الدليل الأول: قال تعالىٰ: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [البينة: ١]

---

(١) كتاب: "الموسوعة الفقهية الكويتية" (١١-١٨٧).

وقال تعالىٰ: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٠٥] فهاتان الآيتان دالتان علىٰ أن أهل الكتاب كفار، والمراد بأهل الكتاب اليهود والنصارىٰ.

وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣] وهذا صريح في تكفير النصارىٰ.

الدليل الثاني: أن الله أخذ العهد والميثاق علىٰ الأنبياء أنه إذا بُعث فيهم محمد ﷺ أن يؤمنوا به، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: ٨١-٨٢].

فمن لم يؤمن بدين محمد ﷺ بعد بعثته من أتباع الأنبياء كاليهود والنصارىٰ، فإنه يكون كافرًا.

الدليل الثالث: قال تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة:٢٩] جعل الله اليهود والنصارىٰ غير مؤمنين بالله واليوم الآخر، وهذا إنما يكون بعد بعثة النبي ﷺ فدلَّ علىٰ كفرهم.

الدليل الرابع: أن الله أمر بعداوة اليهود والنصارىٰ، وعداوتهم لكفرهم، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة:٥١].

الدليل الخامس: ذم الله من لم يؤمن بالقرآن من أهل الكتاب، فقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢﴾ [البقرة:١٠١-١٠٢]، فدلّ هذا علىٰ أنه يجب عليهم أن يؤمنوا بالقرآن، وهو دين محمد ﷺ فمن لم يؤمن به فهو كافر.

الدليل السادس: أثنىٰ الله علىٰ أهل الكتاب الذين آمنوا بدين محمد ﷺ قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩٩﴾ [آل عمران:١٩٩] فمفهوم هذا: أن من لم يؤمن منهم بدين محمد فهم كافرون، وعند الله مبغوضون.

الدليل السابع: أن الله أرسل النبي ﷺ إلىٰ جميع الناس، فدل علىٰ أنه يجب علىٰ من أدركه من اليهود والنصارىٰ أن يتركوا دينهم وأن يؤمنوا به، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ

﴿٢٨﴾ [سبأ: ٢٨].

وبعد هذا، إن هذه الأدلة وغيرها كثير دالٌ علىٰ كفر اليهود والنصارىٰ بعد بعثة النبي ﷺ وبهذا يُفهم معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢].

فقطعًا ليس المراد منها اليهود والنصارىٰ بعد بعثة النبي ﷺ لما تقدم ذكره، فإذن إما أن يكون المراد منها اليهود والنصارىٰ قبل بعثة النبي ﷺ فقد آمنوا بنبيهم وبكتابهم، ويدخل في ذلك الصابئون؛ لأنهم متمسكون بالتوحيد.

أو أن يكون المراد باليهود والنصارىٰ والصابئة الذين آمنوا بالنبي ﷺ بعد بعثته، ولا يمكن أن تُحمل الآية علىٰ اليهود والنصارىٰ بعد بعثة النبي ﷺ فإن القرآن يُفسر بعضه بعضًا ويصدق بعضه بعضًا، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].

فإذا تبيَّن هذا، فإن كل من لم يُكفِّر اليهود والنصارىٰ أو زعم أن طريق اليهود والنصارىٰ بعد بعثة النبي ﷺ مثل طريق الإسلام، وأن الكل مُوصل إلىٰ الله فهو كافر مثلهم لأنه مُكذب بالقرآن، وقد أجمع العلماء علىٰ كفر مثل هذا إجماعًا قطعيًا، قال القاضي عياض المالكي في كتابه "الشفا" (٢ / ٢٨٦): «وكذلك وقع الإجماع علىٰ تكفير كل من دافع نص الكتاب...ومن لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل أو وقف فيهم أو شك أو صحح مذهبهم وإن أظهر مع

ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب سواه فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك ونقل قبل ذلك الإجماع عن أبي بكر الباقلاني المالكي.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في رأس الحسين (ص: ١٩٤): «ومن لم يحرم التدين – بعد مبعثه ﷺ – بدين اليهود والنصارىٰ، بل من لم يكفرهم ويبغضهم فليس بمسلم باتفاق المسلمين».

وأخيرًا، إني علىٰ يقين أن المنافقين لا ينتفعون بهذه الأدلة إلا أن يشاء الله، قال تعالىٰ: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾ [البقرة:١٨] لكن كتبت هذا المقال إقامةً للحجة من جهة، ومن جهة أخرىٰ لتثبيت إخواني المسلمين علىٰ اعتقادهم الذي دلّ عليه القرآن والسنة من كفر اليهود والنصارىٰ.

أسأل الله أن يُعز دينه، وأن يُعلي كلمته، وأن يجعلنا جميعًا أنصارًا لدينه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. عبد العزيز بن ريس الريس (٢٤ / ٦ / ١٤٤٢)هـ. "موقع الإسلام العتيق".

«فقد تظاهرت نصوص الوحيين، وتتابعت أقوال السلف الصالحين، وانعقد إجماع الأئمة المهديين علىٰ أن الترحم علىٰ الكفار والاستغفار لهم محالٌ في الشرع، باطلٌ في العقل، مردودٌ في النقل، إذ الرحمةُ الأخرويةُ إنما يختصُّ الله بها أولياءَه المؤمنين، وأما أعداؤه الكافرون فموعدُهم النار خالدين فيها أبد الآبدين. فمن تجاوز حدود الله في هذا الباب فقد خالف نص الكتاب، وردَّ صريح السنة، ونابذ إجماع الأمة، وما بعد الحق إلا الضلال المبين».

الشبهات والردود في مسألة الترحم على الكافر

دائمًا ما تُثارُ قضيةُ الترحُّم علىٰ غير المسلم عند موته، عندما يموت إنسانٌ غيرُ مسلم له نِضالٌ معروفٌ ضد الظلم ، أو جهادٌ مشهورٌ ضد البغي، أو يكون له من أعمال الخير ما سارت به الرُّكْبانُ، وتحدَّث به الزمانُ مثل القاضي الكافر الأمريكي "فرانك كابريو" فعندما يموت مثلُ هذا الإنسانِ يبدأ هناك كثيرٌ من الشفقة عليه، والتعاطُف معه، محبة أن يُنجيَه اللهُ من عذابِ جهنمَ؛ لجهاده المشكور وبِرِّه الموفور، فيبدأ كثيرٌ من المسلمين بالدعاء له بالرحمةِ والمغفرةِ وفي ظنِّهم أنَّ هذا نافِعُه، وأنه من الممكن أن يرحمه الله؛ لما سلَف له من أعمالِ خَيْرٍ وبِرٍّ، وهم ما فعلوا ذلك إلا استعظامًا أنْ يُعذِّب اللهُ عز وجل مثلَه، مع ما له من كلِّ هذه الأعمال الجليلة، وفي غَمْرةِ هذا التعاطُفِ يَنْسَونَ أن الترحُّم علىٰ غير المسلم إذا مات لا يجوز؛ لأنه يُناقِضُ العقيدةَ، ويُصادِم القرآنَ، ولكنهم لا يأْبَهُون لهذا فيؤوِّلون آياتِ القرآن الكريم لتُوافِق ما ذهبوا إليه، ويَلْوُون أعناقَ النصوص لتُؤيِّد ما يتوهَّمُون أنه الصواب. وما ساقهم إلىٰ ذلك إلا الشفقة والعطف.

ومن المسلمين من يذهب إلىٰ الترحُّم علىٰ غير المسلم؛ بداعي إظهار أن الإسلامَ دينُ الرحمة، وأنه دينُ الإنسانية، وما فعلوا ذلك إلا لإرضاء أهل

الأديان الأخرىٰ، عندما رمَوا الإسلامَ بأنه دينُ الإرهاب والقسوة، ودينُ التطرُّفِ والعنف، فأرادوا أن يُبيِّنوا لهم خطأَ مزاعمِهم، وأن الإسلام يَسَعُ الجميعَ برحمته حتىٰ الكافرُ به المعاندُ لآياتِه تسَعُه الرحمةُ، أليس الله هو القائل: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، والكافرُ شيءٌ من الأشياء؛ إذا تسَعُه رحمةُ اللهِ عز وجل، هكذا يقولون.

لكن عند الحقيقة نجد أنَّ هؤلاءِ وهؤلاءِ قد جانبَهم الصوابُ فيما ذهبوا إليه، وأن الترحُّمَ علىٰ غير المسلم لا يجوز، وهذا ما ذهب إليه كافةُ العلماء، والأدلةُ علىٰ ذلك كثيرةٌ، والبراهينُ عليه موفورةٌ، فمن هذه الأدلة:

١- قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة:١١٣]، فهذه الآيةُ دليلٌ قاطعٌ علىٰ عدم جواز الترحُّمِ علىٰ غير المسلم؛ لأن هذه الآية نزلت في نهي النبي ﷺ أن يستغفر لعمِّه أبي طالب، ومن هو عمُّه أبو طالب؟ إنه الذي ربَّاه صغيرًا، وكفَلَه يتيمًا، واعتنىٰ به شابًّا، فكان في مقام أبيه، واستمرَّ هذا البِرُّ من أبي طالبٍ إلىٰ ما بعد بَعْثَتِه، فقد كان يحميه من أذىٰ المشركين، ويَمنعه من عُدْوانهم، ومع كل هذه الأيادي البيضاء علىٰ النبي ﷺ، لما مات كافرًا نهاه اللهُ عز وجل أن يطلُبَ له المغفرةَ والرحمةَ، فكيف بمن هو دون أبي طالب من عامَّةِ غير المسلمين ولم يُقدِّموا للإسلام ورسولِ الإسلامِ ما قدَّمَه أبو طالب؟! ولو كان طلبُ الرحمةِ والمغفرةِ لغير المسلم جائزًا لكان أبو طالب أوْلَىٰ الناسِ بها.

إبراهيم عليه السلام لما مات أبوه كافرًا تبرَّأ منه، بعد أنْ وعدَه أن يستغفرَ اللهَ عز وجل له، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤] لقد كان الوعدُ من إبراهيم بالاستغفار لأبيه حالَ حياته، وهذا جائزٌ عند كافة العلماء، بمعنىٰ أن يهديه الله عز وجل للإيمان، فيغفر له الشركَ بعد أن يتوب منه، لكن لما مات كافرًا تبرَّأ منه، وانقطع عن الدعاء له، ولو كان الدعاءُ بالرحمة والمغفرة جائزًا بعد الموت لدعا إبراهيمُ عليه السلام لأبيه، ولم يُعلِنِ البراءةَ منه ومن كفره.

وهذا نوح عليه السلام لما مات ولده كافرًا، عندما أبىٰ أن يركب معه السفينة، فمات غرقًا، أخذَتْ نوحًا الشفقةُ علىٰ ولده، والعطفُ عليه، فنادىٰ ربَّه أن يُنجيَه من العقاب، وأن يرحمه من العذاب، قال تعالىٰ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [هود:٤٥] هنا ردَّ اللهُ عز وجل عليه ردًّا حاسمًا: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود:٤٦] يعني: لا تدعو له، ولا تأخذك شفقةٌ به، فهو ليس من أهلك علىٰ الحقيقة، وإنما أهلُكَ هُمْ مَنْ آمَنوا بكَ، وصدَّقُوا برسالتِكَ، وهل هناك أغلىٰ عند الوالد من ولده، فِلْذة من كبده، وقِطْعة من نفسه؟! ومع ذلك نهىٰ اللهُ عز وجل نوحًا أن يدعو له؛ لأنه مات كافرًا غيرَ مؤمنٍ.

إن الدعاءَ بالرحمة لغير المسلم بعد موته يُصادِم كثيرًا من آيات القرآن

الكريم التي تجعل مصير الكافرين بالإسلام هو النار، فكيف يحكُم اللهُ عز وجل عليهم أنهم من أهل النار، وأنهم غير مرحومين، ثم يأتي أحدُهم- هكذا بكل هدوء- ليقول: إنَّ الترحُّمَ عليهم جائزٌ، ولا شيء فيه؟! اللهُ سبحانه وتعالىٰ قال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥] وجعل من لم يؤمن بالله ورسوله كافرًا مُعذَّبًا في جهنَّمَ وبئس المصيرُ، ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الفتح:١٣]، إذًا الكافرُ بنصِّ القرآن الكريم هو من لم يؤمن بالله ورسوله؛ وعلىٰ هذا فكُلُّ من ليس بمسلم فهو كافر، وحكَم اللهُ علىٰ الكُفَّار بأنَّ لهم نارَ جهنمَ خالدين فيها، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾ [التغابن:١٠]، والآياتُ كثيرةٌ جدًّا كما مر معنا في توعُّد الكُفَّار بنارِ جهنمَ والخلودِ فيها، ثم يأتي من يضرب بكُلِّ هذه الآياتِ عُرْضَ الحائط، ويزعُم جاهلًا أو مُتعمِّدًا أنه يجوز الترحُّمُ علىٰ غير المسلم.

وقد تقدمت معنا هذه الأدلة وغيرها

ولكن هناك بعض المتشابهات التي تَمسَّكَ بها من زعم جوازَ الترحُّمِ علىٰ غير المسلم، وظنُّوا أنها أدلةٌ قويةٌ علىٰ ما ذهبوا إليه، ولكن عند التحقيق نجد أنها لا ترقىٰ إلىٰ مستوىٰ الأدلة، فمن ذلك:

▣ الشبهة الأولى:

قوله تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] قالوا: إن رحمة الله عز

وجل تسَع كُلَّ شيء، والكافرُ شيءٌ من الأشياء؛ إذًا ستَسِعُه رحمةُ الله. فلماذا تُحجِّرون واسِعًا، وتمنعون رحمةَ اللهِ من الكافر في الآخرة؟! ولو كان عند هؤلاء بعضٌ من التعقُّلِ والإنصاف لأكملوا الآية؛ لأن تكملةَ الآيةِ تُقرِّر تمامًا نقيضَ ما ذهبوا إليه، بل تُعَدُّ الآيةُ دليلًا قويًّا جدًّا علىٰ أن الكافرَ لا تنالُه رحمةُ اللهِ يومَ القيامة، والآيةُ كاملة هي: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾ [الأعراف:١٥٦-١٥٧]، فاللهُ عز وجل يُقرِّر أن الرحمة لا تنال إلا مَنِ اتَّبَع الرسولَ النبيَّ الأُمِّيَّ، وآمن به، والنبيُّ الأمِّيُّ هو محمدٌ ﷺ؛ إذًا الآيةُ دليلٌ عليهم لا لهم، ولكن عندما يغيب العقلُ ويحضُر الهوىٰ، تكون هذه هي النتيجة؛ الاستدلال بما ينقُض فكرتَهم، ويهدِم مَذْهبَهم.

❁ الشبهة الثانية:

ومن المشتبهات التي تمسَّكوا بها، وحسِبُوها دليلًا لما ذهبوا إليه أن الرحمةَ غيرُ المغفرة، والمنهيُّ عنه عدمُ طلب المغفرة لغير المسلم، بمعنىٰ مغفرة ذنب الكفر الذي اقترفه، أما الرحمة فتجوز؛ لأن الله عز وجل قد يرحَمُه بتخفيف

العذاب عنه يومَ القيامة، حتىٰ ولو لم يخرج من النار، هذه هي شُبْهتُهم، ولكن هي شُبْهةٌ واهيةٌ جدًّا، وتدُلُّ علىٰ خَلَلٍ في نمط التفكير والاستدلال، والردُّ علىٰ هذه الشُّبْهة من ثلاثةِ أوجُه:

الأول: أن من يطلُب الرحمةَ لغير المسلم، إنما يقصِد ألَّا يُعذَّب مطلقًا في نار جهنَّمَ، وأن يكون مصيرُه إلىٰ الجنة، وهذا هو أولُ ما يتبادَرُ إلىٰ ذهن الداعي عندما يدعو لأي ميِّتٍ عمومًا، فالرحمةُ التي يقصِدُها دخولُ الجنةِ والنجاةُ من النار، ومن المُسْتبعَد جدًّا أن أيَّ إنسانٍ يدعو لميت بالرحمة يكون مقصودُه تخفيفَ العذاب عنه فقط يومَ القيامة، مع اعتقاده أنه من المعذَّبين في جهنم.

الثاني: أن الله سبحانه وتعالىٰ حكَم بعدم تخفيف العذاب عن الكافرين، وغيرُ المسلم كافرٌ بنصِّ القرآن الكريم، والدليلُ علىٰ عدم التخفيف قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة:١٦١-١٦٢].

الثالث: أن استعمالَ الرحمة والمغفرة في لغة القرآن الكريم غالبًا ما يكون بمعنًىٰ واحدٍ؛ وهو النجاة من العذاب؛ لذلك يجعل اللهُ أحيانًا الرحمةَ في مقابل العذابِ، مثل قوله تعالىٰ: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الإسراء:٥٤] وقوله: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [العنكبوت:٢١]، وأحيانًا يجعل المغفرةَ مقابلَ العذابِ مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ [آل

عمران:١٢٩]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [المائدة:٤٠]؛ إذًا الرحمةُ والمغفرةُ في غالب استعمالات القرآن الكريم بمعنًىٰ واحدٍ؛ وهو النجاةُ التي تقابلُ العذابَ؛ لذلك لما أراد ابنُ منظور في لسان العرب أن يُعرِّف الرحمةَ قال: «والرَّحْمَةُ: الْمَغْفِرَةُ»(١).

۞ الشبهة الثالثة:

قالوا: إن الآياتِ التي تنهىٰ عن طلب المغفرة لغير المسلم خاصةٌ بالمشركين، فأبو طالب عمُّ النبي ﷺ، وأبو إبراهيم عليه السلام، وابن نوح عليه السلام كُلُّهم كانوا مشركين بالله عابدين للأصنام، ولو سَلَّمنا بعدم جواز الترحُّم عليهم، لم نُسلِّم لك في عدم جوازه لأهل الكتاب؛ لذلك لا مانع من الترحُّمِ علىٰ أهل الكتاب، خاصةً وأن الله عز وجل أباح التزوُّجَ منهم، فكيف يُحرِّم علىٰ المسلم أن يترحَّمَ علىٰ زوجته الكِتابيَّة، وهي زوجتُه أُمُّ أولادِه، ورفيقةُ حياته؟

والجواب ومن الله أستمد العون والصواب: أنَّ كلًّا من المشركين وأهل الكتاب كُفَّارٌ بنصِّ القرآن الكريم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة:٦]، فالمشركون مثلهم

(١) "لسان العرب" (١٢/ ٢٣٠) مادة: رحم.

مثل أهل الكتاب في الكفر بمحمدٍ ﷺ، وكُلُّ من لم يؤمن بمحمدٍ فهو كافرٌ، وله عذابُ جهنمَ يومَ القيامة قال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الفتح:١٣]، فها هو القرآن الكريم جعل المشركين وأهلَ الكتاب كُفَّارًا ومُخلَّدين في نار جهنمَ يومَ القيامة، ولم يُفرِّق بينهم، فكيف تأتي وتُفرِّق أنت بينهم، وتقول: المشركُ لا يجوز الاستغفار له، بينما يجوز لأهل الكتاب؟!.

▣ الشبهة الرابعة:

قوله تعالىٰ علىٰ لسان عيسىٰ عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة:١١٨] فلو كانت المغفرةُ والرحمةُ غيرَ جائزة للكافر، لما جعلها عيسىٰ عليه السلام احتمالًا يجوز وقوعه من الله عز وجل، ولكن لما كانت محتملةً، ومن الجائز أن يرحمَهم اللهُ كما قال عيسىٰ؛ إذًا يجوز الدعاء بالرحمة والمغفرة لغير المسلم.

والردُّ علىٰ ذلك: أن عيسىٰ عليه السلام لم يكن في مقام طلب الرحمة لهم والاعتذار عن كُفْرهم، ولو كان الأمر كذلك لختم الآية بقوله: «وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم»، ولكن المقام مقامُ إظهارِ هَيْمَنةِ اللهِ عز وجل علىٰ خَلْقِه، وملكيته التامة لهم يوم القيامة، وأنه القادر عليهم فلا يُعجِزُه شيءٌ من أمرهم، فعيسىٰ عليه السلام يُعلِن تبرُّؤه من كفرهم، ثم بعد ذلك يعلن مدىٰ قوة الله وقدرته التامة علىٰ كل شيءٍ، وأنه نافذ التصرُّف في عباده، إما بتعذيبهم أو

برحمتهم ومغفرة ذنوبهم؛ لذلك ختم الآية بقوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة:١١٨] إذًا الآية ليست لطلب الرحمة لهم، وإنما لإظهار قدرة الله التامة عليهم، وتصرُّفه الكامل فيهم، ومن كان هذا شأنُه لا يجوز أن يُنسَب له الصاحِبةُ والوَلَد.

علىٰ أن بعض العلماء قد ذهبوا إلىٰ أن الحوار الذي دار بين الله عز وجل وعيسىٰ عليه السلام كان في الدنيا وليس يوم القيامة، فعيسىٰ في السماء بعدما رفعه الله إليه، ولا مانع من أن تكون هذه المحاورة قبل يوم القيامة، وعلىٰ هذا تكون احتماليةُ مغفرةِ الله لهم الواردة في الآية مقصودًا بها أن يتوبوا من كفرهم، فيتوب الله عز وجل عليهم، ويغفر لهم، وممن ذهب إلىٰ هذا شيخُ المفسرين الإمام الطبري[1].

وعلىٰ هذا فلا دليل لهم في هذه الآية علىٰ جواز الترحُّم علىٰ غير المسلم بعد موته؛ لتطرُّق الاحتمال أنها في الدنيا، والدليلُ إذا تطرَّقَ إليه الاحتمالُ سقَط به الاستدلالُ كما هو معروف.

۞ الشبهة الخامسة:

قالوا: إن قوله تعالىٰ علىٰ لسان إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ

(١) "تفسير ابن كثير" (٣/ ٢٣٢).

﴿ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم:٣٥-٣٦] يدل علىٰ جواز الترحُّم علىٰ غير المسلم؛ لأن إبراهيمَ عليه السلام طلب الرحمةَ لمن عبد الأصنام.

والجواب عن هذا: أن هذه الآيةَ مقصودٌ بها طلبُ الرحمة للمُشرِك الذي علىٰ قيد الحياة، بأن يتوب من شِرْكِه، فيتوب الله عليه ويغفر له ذنْبَ هذا الشرك.

وهذا غير ممنوع كما ذهب إليه عامةُ العلماء، والدليلُ علىٰ أن المقصود بها مَنْ كان علىٰ قيد الحياة، أن إبراهيم عليه السلام تبرَّأ من أبيه لما مات كافرًا، وانقطع عن الدعاء له، كما سبق ذكره، فكيف يترك الدعاءَ لأبيه بالرحمة، ويطلبُها لغيره؟! والوارد في هذه الآية مثل دعاء النبي ﷺ لقومه بالمغفرة: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

وقد مر هذا في الفصل السابق.

مما سبق يتبيَّن قوةُ الأدلة علىٰ عدم جواز الترحُّم علىٰ غير المسلم بعد موته؛ لذلك ذهب كافةُ العلماء إلىٰ ذلك.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصلاةُ علىٰ الكافر والدُّعاءُ له بالمغفرة حرامٌ بنصِّ القرآنِ والإجماعِ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّ الاستغفارَ للكفار لا يجوز بالكتاب

والسنَّة والإجماع».

ويبقىٰ معنا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢].

استدل بها علي جمعة وطارق السويدان علىٰ دخول اليهود والنصارىٰ الجنة وهذا من الجهل الرد عليهم من نفس الآية لأن الله يقول: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾.

فهل حققوا هذا الشرط؟! وهكذا، يتبيَّن لمن ألقىٰ السمع وهو شهيد أنَّ ما يثيره المجيزون للترحّم علىٰ الكفار ليس إلا سرابًا خادعًا، لا يقوم علىٰ دليلٍ صريحٍ، ولا ينهض علىٰ برهانٍ صحيحٍ، وإنما هي شبهٌ أوهىٰ من بيت العنكبوت، إذا عُرِضَت علىٰ نور الوحي اندحرت، وإذا وُزِنَت بميزان الشريعة تهافتت، فبقي الحقُّ وحده شامخًا كالجبل لا تزعزعه الرياح. وإنَّ في نصوص الكتاب والسنة، وفي إجماع الأمة، ما يُغني العاقل المنصف عن التماس المعاذير الباطلة، ويُقيم الحجة البالغة علىٰ بطلان تلك المزاعم الساقطة. ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور. فليعلم الموفَّق أن دين الله أعزّ من أن يُساوَم، وأعظم من أن يُداهَن فيه، وأن الحق لا يزول بزخرف القول، ولا يتبدّل بأباطيل المتكلفين، وإنما يزداد وضوحًا باندحار الباطل، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء:١٨]، فالحمد لله الذي أظهر حجّته،

ونصر كلمته، وأبطل شُبَه المبطلين، وأبقىٰ شريعته ناصعة لا يضرها من خالفها ولا من عاندها، حتىٰ يرث الله الأرض ومن عليها.

تاريخ مجازر اليهود والنصارى بحق المسلمين

أيها المسلم... لا تُخدع ببريق الحضارة الزائف، ولا تُغتر بشعارات الحرية والديمقراطية التي يتغنّىٰ بها أعداء الله، فإنها في حقيقتها سراب خادع، وزينة كاذبة، يخفون خلفها أبشع صور القهر والظلم وسفك الدماء. انظر – رحمك الله – في صفحات التاريخ، وتأمل في حوادث الأمس واليوم؛ كيف أعمل اليهود والنصارىٰ سيوفهم في رقاب المسلمين، وكيف صبغوا الأرض بدمائهم، وكيف لم يرقبوا في مؤمنٍ إلًّا ولا ذمّة.

لا تُغترَّ بخطبهم المزخرفة ولا بشعاراتهم المزيّفة، فإنهم ما عرفوا للإنسانية قدرًا، ولا للرحمة وزنًا، ولا للوفاء عهدًا، بل هي وجوه تبرق بالزيف، وقلوب تغلي بالحقد، وأيدٍ تلطخت بالدماء، أفلا ترىٰ كيف زعموا الدفاع عن حقوق الإنسان ثم كانوا أول من انتهكها؟ وكيف ادّعوا العدالة فإذا بهم يقيمون المجازر ويحصدون الأرواح البريئة.

فانظر – رعاك الله – فيما فعلوا بالمسلمين عبر القرون: من مذابح الأندلس، إلىٰ نكبة فلسطين، إلىٰ مذابح البوسنة، وصولًا إلىٰ ما يجري اليوم في الشام وغزة، كلها شواهد دامغة علىٰ غدرهم وخيانتهم، وعلىٰ أن ما يرفعونه من شعارات ليس إلا ستارًا يخدعون به السذج والبسطاء.

فلا يخدعنك مكرهم، ولا تزلزلك قوتهم الظاهرة، فإنها ساعة ويزولون، ويبقىٰ الحق ظاهرًا، والدين عزيزًا، وأولياء الله منصورين، ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران:١٣٩].

وإن الخط البياني للحروب والفتن التي قام بها اليهود مع أهل النصرانية علىٰ مدىٰ التاريخ إنما تكشف عن المطامع التي تنطوي عليها الصدور ببواعثها الحقيقية، فهي حروب وفتن تنطوي علىٰ خبائث عقدية ومطامع مادية وحب الاستعلاء في الأرض، وهذا ما أسفر التاريخ عنه إسفار وقاحته بما عرفته الأرض من محن همجية الغربي. فحين دخل الصليبيون مدينتي معرة النعمان وبيت المقدس، بعد استسلام أهلهما، وبعد أن أعطىٰ قائد الحملة عهوداً بالمحافظة علىٰ الأموال والأنفس، ارتكبوا فيها من الفظائع والقتل والتنكيل ما كتب عنه التاريخ مراراً وتكراراً، فلقد ذُبح النساء والأطفال والشيوخ ذبح النعاج، ووصلت الدماء في بعض الأماكن إلىٰ ارتفاع أكثر من شبر، حتىٰ صارت طرقاتها تعج بالجماجم المحطمة والأذرع والأرجل المقطعة والأجسام المشوَّهة، وذكر بعض المؤرخين أن عدد الذين قتلوا في هاتين المدينتين تجاوز المائة والسبعين ألفـًا.

ثم تعالوا لننعش ذاكرتهم ببعض مما ارتكبه أهل النصرانية من مجازر علىٰ مدىٰ التاريخ قتل فيها أضعاف مضاعفة عما زعموا أنهم ضحايا إبادة جماعية.

- في عام (١١٠٣م) قام الحاكم النورماندي فريدريك الثاني بحملة الاضطهاد

المنظم ضد المسلمين من أجل إرضاء البابوات، الذين كانوا متعصبين ضد الوجود الإسلامي في صقلية، فبدأ عمليات قتل وذبح وقمع منظم وممنهج ضد المسلمين. ففر أكثر من ٢٠ ألف مسلم من الجزيرة خوفا علىٰ حياتهم.

- مذابح محاكم التفتيش في الأندلس ألفت فيها مؤلفات، أختصرها بالقول: كان شرطة الكنيسة يداهمون المنازل، فإذا عثروا في الحمام علىٰ صنبور ماء، أو ما يدل أن أهل البيت يستخدمون الماء بقصد الاستنجاء كان يذبح أهل البيت برمتهم صغيرهم قبل كبيرهم. كما أن من يغتسل يوم الجمعة كان يعرف بأنه لا يزال مسلمًا ويحكم عليه بالموت، والأمر نفسه لمن وجدوه متزينًا في يوم العيد.

- خلال الحرب الروسية التركية عام (١٧٩٠م)، قام الروس بأكبر مذبحة في قلعة أزماييل، ذكر المؤرخون أن الروس قتلوا حوالي (٤٠) ألف مسلم ذبحا بالسكاكين والبلطات.

- في عام (١٨٧٦م) قام البلغار بقتل حوالي (١٠٠٠) مسلم تركي خلال فترة التمرد التي شهدتها بلغاريا.

- أما مآسي المسلمين في ما كان يسمىٰ الاتحاد السوفييتي حيث عمد الشيوعيون لأساليب إبادة رهيبة للمسلمين فتمت إبادة عشريـــــن مليون مسلم خلال خمسين عاما. وقد ثبت بالإحصائيات الروسية أن ستالـين وحده قتل (١١) مليون مسلم.

ونتيجة لهذه الإبادة والتهجيـــر حصل نقص كبير في عدد المسلمين في

بعض المناطق الاسلامية. فمنطقة داغستان مثلا كان عدد سكانها ثمانية ملايين في عام (١٩١٧) وتناقصوا إلىٰ (١٦٢٧٠٠٠) فقط في عام (١٩٧٧) وتناقص عدد سكان منطقة القرم من خمسة ملايين ليصبح أقل من نصف مليون.

- أما اليهود فمنذ أكثر من ستة عقود يرتكبون أفظع المذابح بحق النساء والأطفال والمدنيين وهدم المنازل وتشريد شعب بأكمله، من العسير حصرها جميعها في مقال كهذا .

وفي (١٢ فبراير ١٩٧٠) قامت إسرائيل بغارة جوية قصفت فيه مصنع أبو زعبل في مصر فقتلوا ١٠٠ عامل فيه.

وفي أبريل عام (١٩٧٠) قصفت الطائرات مدرسة بحر البقر في مصر، أدىٰ الهجوم إلىٰ مقتل (٨٠) طفلا.

مذبحة دير ياسين (٩ أبريل ١٩٤٨) حين هاجمت قوة مسلحة من منظمتي الأرجون وشتيرن الصهيونيتين ليلاً سكان القرية النائمين وقتلوا دون تمييز الأطفال والنساء والشيوخ، ومثلوا بجثث الضحايا، وألقوا بها في بئر القرية، واستعرضوا النساء والأطفال في شوارع تل أبيب؛ لتكون الحصيلة ما بين (٢٥٠) و (٣٦٠) شهيدًا.

مجزرة اللد (١١ يوليو ١٩٤٨) قامت بها قوات البلماخ الخاصة بمنظمة الهاجاناه، وأخرجت جميع الرجال الذين يتجاوز عمرهم (١٦) سنة، لتعدمهم بالرصاص الحي، ثم إطلاق الرصاص علىٰ كل ما يتحرك، فتناثرت الجثث في

الشوارع، واقتحموا المسجد الذىٰ احتمىٰ به الأهالي بزعامة إسحاق رابين واستمروا في تقتيلهم حتىٰ وصلت الحصيلة إلىٰ قرابة ٤٢٦ شهيدًا.

مجزرة خان يونس (٣ نوفمبر عام ١٩٥٦) حين اجتاحتها القوات الإسرائيلية وقتلت ١٦٠٠ فلسطيني.

مجزرة الحرم الإبراهيمي (٢٥ فبراير ١٩٩٤) قام بها المتطرف باروخ جولدشتاين ببندقيته الآلية وأسفرت المذبحة عن استشهاد (٦٠) فلسطينياً وإصابة العشرات بجراح مجزرة رفح (١٨ مايو ٢٠٠٤) أسفرت عن (٥٦ شهيداً و١٥٠) جريحاً.

مجزرة مليونية مسيرة العودة (١٤ مايو ٢٠١٨) ارتكبها الجيش الإسرائيلي ضد المتظاهرين الفلسطينيين عند نقاط التماس شرقي قطاع غزة واسفرت عن وقوع (٦٠) شهيدًا؛ وإصابة (٢٧٧١) آخرين، أكثر من (١١٠٠) إصابة كانت بالرصاص الحي مجزرة مخيم رفح (١ يونيو ١٩٦٧) حين اقتحم جنود الاحتلال الصهيوني مخيم رفح للاجئين الفلسطينيين وقتلوا ٢٣ رجلاً بإطلاق النيران عليهم، وتركوا جثثهم ملقاة بالشارع عدة أيام لإرهاب باقي اللاجئين بالمخيم.

مجزرة مخيم الكرامة (٢٠ يوليو ١٩٦٧) قصف الصهاينة بالقنابل مخيم اللاجئين الفلسطينيين في قرية الكرامة الأردنية فاستشهد جراء ذلك (١٤) شخصاً من المدنيين الفلسطينيين من بينهم معلم مدرسة ابتدائية وثلاثة أطفال، وجرح القصف (٢٨) شخصاً.

مذبحة مخيما صبرا وشاتيلا (١٦) سبتمبر (١٩٨٢) التي استمرت ثلاثة أيام وتعد من أبشع وأفظع المجازر الجماعية، نفذتها قوات الكتائب وقُدر عددها بـ (١٢) ألف مسلح وخطط لها قادة الجيش منهم أرييل شارون وزير الدفاع ورفائيل إيتان رئيس الأركان آنذاك.

قاموا اقتحام المخيمين، وذبح عدد كبير من سكانها من نساء وأطفال وشيوخ، تحدثت بعض المصادر عن استشهاد (٣٥٠٠) شهيد ما بين طفل وامرأة وشيخ وشاب، وعدد المفقودين (٢٠٠٠) مفقود، والمفقودين هم كل الذين اقتيدوا في الشاحنات إلىٰ جهة مجهولة.

مجزرة جنين (٢ أبريل ٢٠٠٢) قامت فيها القوات الاسرائيلية بقتل العُزل والاعتقال العشوائىٰ بطرق مهينة وتعذيب المعتقلين، ومنع وصول الأغذية والدواء للمحاصرين والمصابين، ومنع تسليم جثث الشهداء لذويهم مع القصف العشوائي لمنازل ومباني المدينة، قام جنود الاحتلال بحفر فجوة واسعة بوسط المخيم يوم (١٤/ ٤/ ٢٠٠٢) لدفن مئات الجثامين.

- وبالعودة لمجازر النصارىٰ لا أحد ينسىٰ مذابح الشيوعيين لمسلمي البوسنة في يوغسلافيا وألبانيا مطلع القرن الماضي حيث أباد الشيوعيون فيها بعد الحرب العالمية الثانية أكثر من مليون مسلم. منهم ١٢ ألفًا قتلوا في المسجـــد الكبير بفوجا في شرق البوسنة وذبح ٦ آلاف مسلم في جســر فورا. ولا ينسىٰ السوريون أن الأرناؤوط والشركس إنما هاجروا إليهم فرارا من

مذابح الشيوعيين.

- مذابح المسلمين في منطقة الحبشة حيث وضع الطاغية النصراني هيلاسيلاســـي خطة لإنهـــاء المسلمين خلال (١٥) عاما، وتباهىٰ بخطته أمام الكونجرس الأمريكي، وقام بإحـــــراق الشيوخ والنساء والأطفال بالنار والبنزيـــــن في قرية جرسم، وأمر بالتعقيم الإجباري للمسلمين رجالا ونساء. وقام بعده السفاح منجستـــو بمذبحة كبيرة حيث أمر بإطلاق النار علىٰ المسجـــــد الكبير بمدينة ريرادار بإقليم أوجاوين فقتل أكثر من ألف مسلم كانوا يـــــؤدون الصلاة في رمضـــان عام (١٣٩٩هـ).

- مذابح المسلمين في الفلبين علىٰ يد حكومة ماركوس حيث ارتكبت أفظـــع الجرائم من قتل جماعي وإحراق الأحياء وانتهاك الأعراض والحرمات وفـــقىء لأعين الرجال وبقـــــر لبطون الأطفال وذبح بالخناجر وفصـــــل للرؤوس عن الأجساد. وما بين عامي ١٣٩٢- ١٤٠٤ ه قتل اكثر من ٣٠٠٠٠ مسلم من النساء والأطفال وكبار السن، وفر اكثر من ٣٠٠٠٠٠ مسلم وتم احراق٣٠٠ ألف منزل وتدمير مائة قرية ومدينه اسلاميه وأكثر من ٥٠٠ مسجـــــد.

- أما المذابح الكبيرة في هذا القرن التي قام بها النصارىٰ وغضت عنها الطرف دول أوربا فهي مذابح البوسنة والهرسك الأخيرة شهدها العالم الإسلامي بالصوت والصورة. حيث قتل عشرات الألوف قتلا وذبحـــــا. وتم اغتصـــاب عشـــرات الآلاف من النساء بما فيهن صغيـــرات السن. وأقيمت

معسكـــرات للاغتصاب الجماعي، وأصبح آلاف المسلمات سبايا للجنود الصرب، وأحيانا يقدمـــن للترفيه عن جنود القوات الدولية. وتم حـــرق ١٠٠٠ طفل في أحد الجوامع في سراييفو. وفيها حدثت المذبحة الرهيبة التي حدثت للمدنيين عند سقوط مدينة سريبرينيتسا في ١١ يوليو/ ١٩٩٥م، عندما دخلها الصرب مع أنها كانت وقتها منطقة آمنة تحت حماية الأمم المتحـــدة. فشرد أهل هذه المدينة بأجمعهم بعد المجزرة الرهيبة التي حصلت لهم حيث والتي وصل فيها عدد القتلـــىٰ إلىٰ ٢٠ ألف. وفر ٧٠٠,٠٠٠ مسلم من الصرب إلىٰ مجاهل الغابات حيث هـــلك الكثير منهم جوعـــاً ومرضـــاً وبـــردا.

- والمذابح التي قام بها النصارىٰ الأرثاذوكس في الشيشان من قتل لعشرات الآلاف من الأبرياء. وتشريد لمئات الألوف، تدمير مدن وقرىٰ بأكملهـــا براجمـــات الصواريخ، وحرق المنازل، وتقطيـــع وصلـــب الأحيـــاء، وقتل للأطفال والنساء والمسنين، واغتصاب النساء.

- مذابح المسلمين في أندونيسيا علىٰ يد النصارىٰ من الجروح الأخيرة الجديدة التي يقتل فيها المسلمون حتـــىٰ في بلادهم، حيث ذبح في جزر الملوك آلاف من المسلمين ذبحـــا وحرقـــا، وقتل مائتان من الطلبة المسلمين في مدرستهـــــم، وقتل ١٢٠٠ مسلم في مسجـــد بعد لجوئهم إليه حيث ذبـــح بعضهم، ثـــم حـــرق المسجد علىٰ البقية وهم أحيـــــاء. وتم تقطيـــع رؤوس بعض المسلمين تم وضعها في حاويـــــــات ورقية للسخرية، وتم

التمثيل بجثث المسلمين وبقـــــــــر بطونهم.

- الألمان قتلوا عشرات الآلاف من المسلمين في ناميبيا، والتي كانت بمثابة إبادة جماعية وفقا للأمم المتحدة. فقد ارتكبت القوات الألمانية أول إبادة جماعية في القرن ٢٠بناميبيا التي كانت تعرف آنذاك باسم جنوب غرب أفريقيا الألمانية، حيث مع بداية عام ١٨٦٨م سيطرت ألمانيا علىٰ شواطئ ناميبيا وبدأت الحملات التبشيرية والعسكرية عملها، وفي عام ١٨٨٤م أعلنت ألمانيا ضم ناميبيا وأصبحت تحمل اسم جنوب غرب إفريقيا الألمانية. لقد قتل الالمان نحو ٦٥,٠٠٠ مسلما من جماعات الهيريرو.

- وإذا تركنا ما ارتكبته فرنسا وبريطانيا وإيطاليا...وتناولنا ما ارتكبته أمريكا بحق المسلمين فقط من مجازر منذ قيام دولتها وحتىٰ هذا اليوم فهذا يحتاج إلىٰ مجلدات.

إن جرائم أمريكا في دماء المسلمين حدث ولا حرج، فملفاتهم سوداء من دماء المسلمين. لقد قتل الأمريكان أكثر من مليون عراقي أبرياء، بسبب قصف الطائرات الأمريكية للعراق، وحصارها الظالم له خلال أكثر من عقد.

لقد ارتكب الأمريكان المجازر البشعة ضد العراق، فقد استخدمت أمريكا متفجرات الضغط الحراري، وهو سلاح زنته ١٥٠٠ رطل. وكان مقدار ما ألقي علىٰ العراق من اليورانيوم المنضب أربعين طنًا، وألقي من القنابل الحارقة ما بين ٦٠ إلىٰ٨٠ ألف قنبلة، قتل بسببها ٢٨ ألف عراقي. وقتل الآلاف من الشيوخ

والنساء والأطفال الفلسطينيين بالسلاح الأمريكي. وقتل الآلاف من اللبنانيين واللاجئين الفلسطينيين في المجازر التي قامت بها إسرائيل بحماية ومباركة أمريكية.

- قتلت أمريكا في أفغانستان خلال ثلاثة أشهر فقط، نتيجة القصف الأمريكي ما لا يقل عن ٥٠ ألف أفغاني، جُلّهم إن لم يكونوا كلهم من المدنيين. وتسبب حصارهم لأفغانستان في قتل أكثر من ١٥ ألف طفل أفغاني، وأكثر من ١٠ آلاف أمرأة.

وأخيرا يكفي أن أذكر أن بوش الابن خطب قبل يوم من غزوه أفغانستان فقال: (إنها حرب صليبية).

ولا يخفاكم ما يجري في غزة في هذا العام ٢٠٢٥ م من إبادة جماعية وتجويع لم يشهد له نظير آلاف الشهداء من المدنيين الُعزل من نساء وأطفال وشيوخ ضرب للمستشفيات والمدارس والمساجد والمطاعم والمخابز والطرقات وخزانات المياه ضرب لكل مقومات الحياة ثم يأتيك علمنجي فاجر يقول اليهود إخواننا والنصارىٰ أحبابنا والإسلام دين العنف والكراهية كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا تجدهم في وسائل التواصل كالكلاب يدافعون عن الغرب الفاجر ويتنقصون من المسلمين ويثيرون الشبه حول الإسلام، أمثال: الدحيح، والفاجر علي الحجوري (جعفر)، والملحد علي البخيتي، وعدنان إبراهيم، والهالك شحرور، والهالكة نوال السعداوي،

والفاجر إسلام البحيري، ولشمطاء فريدة الشوباشي وغيرهم، بل بعض من ينتسب للعلم من يحاول يلمع اليهود والنصارىٰ أمثال علي جمعة، والخبيث أحمد كريمة، والقبوري علي الجفري الذي قال: أنه يحب اليهود وغير هؤلاء ممن هم أحذية للغرب.

والله المستعان

الولاء والبراء

الولاء والبراء... ليس فكرةً نظرية ولا شعارًا يرفع، بل هو حدُّ الفاصل بين الإيمان والكفر، والتمييز الجليّ بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. هو العهد الذي كتبه الله علىٰ عباده المؤمنين أن تكون قلوبهم معلّقة بولائه وحده، وألسنتهم ناطقة بنصر دينه، وجوارحهم واقفة عند حدوده، وألا يحنوا رؤوسهم لغيره ولا يركنوا لعدوه.

إنه عقيدة تفرز الصفوف كما تفرز النار خَبَث الحديد من صفوه، فلا يجتمع فيه حبّ الله وحبّ أعدائه، ولا يلتقي في قلبٍ واحد نور التوحيد وظلمات الشرك. ومن لم يعرف الولاء والبراء لم يعرف طعم الإيمان، ومن لم يذق حلاوته عاش غريبًا ممسوخ الهوية، تابعًا للباطل وهو يظن أنه يحسن صنعًا.

فالولاء والبراء هو أمانة التوحيد في أعناق المؤمنين، وسياج العقيدة الذي يحفظها من الذوبان، وراية العزة التي تميّز أهل الإيمان عن سائر الأمم. به يظهر الصادق من المدّعي، والمخلص من المنافق، ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢].

الولاء: محبة المؤمنين وموالاتهم ونصرتهم.

البراء: بُغْضُ الكافرين وعداوتهم، والبراءة منهم ومن دينهم الباطل.

ومدار الولاء والبراء: علىٰ المحبة والبغض؛ المحبة والولاية لله ورسوله ولأهل الإيمان، والكراهة والعداوة لعدو الله ورسوله وللكفار.

- وهذه القضية من القضايا الشائكة، التي حصل فيها إفراط وتفريط؛ فانحرفت فيها فرقٌ وطوائف وجماعات ما بين غلوٍّ وجفاء:

١- فمنهم: الغالي المفرط في الحكم بتكفير كل من تعامل مع الكفار معاملات ليست من الموالاة المحرمة، فضلًا علىٰ أن تكون كفرًا؛ فاستباحوا الدماء، ونشروا الفساد.

٢- ومنهم: الجافي المفرط في هذه القضية، فلا يجعلها من قضايا الإيمان؛ بحجة أنها من القضايا الخطيرة الحساسة، التي تهدد الوحدة الوطنية، ووحدة النسيج الوطني، وأنها تكدر السلم العام، وأن الكلام فيها يسبِّب فتنةً طائفيةً؛ فنادَوا بالمساواة بين أهل الإسلام وغيرهم من أتباع الديانات الباطلة، ونادوا بتقارب الأديان، وجعلوا صور الموالاة الكفرية: إما مباحة، أو مجرد معصية؛ فأوقعوا كثيرًا من المسلمين في جهل لمفهوم البراء من المشركين، واتخذوا الكفار أولياء يحبونهم، بل البعض يحبهم أعظم من محبته لإخوانه المسلمين.

- وأما المنهج الوسط: فهو منهج القرآن والسنة؛ وهو وجوب موالاة المؤمنين، ووجوب البراءة ومعاداة وبغض الكافرين، والأدلة علىٰ ذلك كثيرة من الكتاب والسنة؛ فمن الآيات التي جاءت بوجوب الموالاة للمؤمنين قول الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ

وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ [التوبة:٧١].

- ومن الآيات التي جاءت بوجوب البراءة من الكفار عمومًا وعدم مودتهم قول الله تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران:٢٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة:١].

- وهناك آيات خصَّت اليهود والنصارىٰ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [المائدة:٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة:٥٧].

- وآيات أخرىٰ خصَّت القرابة إذا كانوا علىٰ الكفر؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة:٢٢]؛ ففي هذه الآية الكريمة نفىٰ الله سبحانه وتعالىٰ الإيمان عمن هذا شأنه، ولو كانت مودته ومحبته لأبيه وأخيه وابنه ونحوهم من أقربائه، فضلًا عن غيرهم، مما يدل علىٰ عِظَمِ هذا الأمر وخطورته؛ وقال

تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [التوبة:٢٣]، وغيرها كثير.

يقول الشيخ حمد بن عتيق رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنه ليس في كتاب الله حكم فيه من الأدلة أكثرَ ولا أبْيَنَ من هذا الحكم - أي: حكم الولاء والبراء - بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده»(١).

- فيتبين من هذه الآيات الكريمة: وجوب موالاة المؤمنين، ووجوب البراءة ومعاداة الكافرين، والتحذير من موالاتهم، حتىٰ ولو كانوا من أقرب الأقربين.

- ولمَ لا وقد تبرأ الله تعالىٰ منهم، قبل أن يأمرنا بذلك؟ قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ [التوبة:٣]، والمسلم يوالي كل من والاه الله تعالىٰ، ويعادي كل من عاداه الله، ويتبرأ منه.

- وقد أمر الله تعالىٰ رسوله الكريم ﷺ، بأن يتبرأ من الكافرين، ومن دينهم الباطل، وما يعبدونه من دون الله تعالىٰ؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾ [الكافرون:١-٦].

---

(١) "النجاة والفكاك" (ص ١٤).

ولذلك أمر النبي ﷺ من ينام أن يختم أذكار النوم بقراءة هذه السورة؛ فعن فروة بن نوفل رضي الله عنه: أنه أتىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، علمني شيئًا أقوله إذا أويتُ إلىٰ فراشي، فقال: «اقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:١]؛ فإنها براءة من الشرك».

- وقد حذرنا الله تعالىٰ من الركون إلىٰ أهل الكفر؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝١١٣﴾ [هود:١١٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۝٧٣﴾ [الأنفال:٧٣].

- وإظهار البراءة من المشركين هو منهج ودأب الأنبياء والمرسلين، ونحن مأمورون بالسير علىٰ طريقهم، ومنهجهم، والاقتداء بهم؛ قال تعالىٰ عن هود عليه السلام: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٦﴾ [هود:٥٤-٥٦].

وقال تعالىٰ عن إبراهيم عليه السلام كنموذج تطبيقي لعقيدة الولاء والبراء: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۖ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤]، فذكر سبحانه وتعالىٰ ثلاثة أمور في التعامل مع الكافرين:

الأول: التبرؤ من الكافرين ومما يعبدونه.

والثاني: الكفر بهم.

والثالث: إظهار العداوة وإعلانها أبدًا حتىٰ يؤمنوا بالله وحده.

- وكان لسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين مواقفُ عظيمة في تحقيق عقيدة الولاء والبراء؛ فقد أعلنوا بوضوح محبتهم لأهل الإيمان، وبراءتهم من أهل الكفر، وعدواتهم وبغضهم لهم، بلا مداهنةٍ، ولا مجاملةٍ.

فعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قلت لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن لي كاتبًا نصرانيًّا قال: ما لك قاتلك الله؟ أمَا سمعت الله تعالىٰ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [المائدة:٥١]، ألَا اتخذتَ حنيفيًّا؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين، لي كتابته وله دينه، قال: لا أُكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أُعزهم إذ أذلهم الله، ولا أُدنيهم إذ أقصاهم الله».

قال أبو الوفاء بن عقيل رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان، فلا تنظر إلىٰ زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، وإنما انظر إلىٰ مواطأتهم أعداء الشريعة».

- ومنزلة ومكانة عقيدة الولاء والبراء من الشرع عظيمة جدًّا، ولها فوائد وثمرات؛ فمنها:

١- إن عقيدة الولاء والبراء هي جزء من معنىٰ (شهادة أن لا إله إلا الله)؛ فإن معناها البراءة من كل ما يُعبَد من دون الله تعالىٰ؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي

عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨]؛ فالنفي الموجود في شهادة: (لا إله إلا الله) يقتضي البراءة من كل ما يعبد من دون الله.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي ألَّا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يوادَّ إلا لله، ولا يعادي إلا لله، وأن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله».

وقال الشيخ العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يتم الإخلاص لله إلا بنفي جميع الشرك، فمن آمن بالله، ولم يكفر بالطاغوت فليس بمؤمن».

٢- ومنها: أن الولاء والبراء من الإيمان، بل هما شرط في الإيمان؛ كما قال تعالىٰ: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة:٨٠-٨١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني بذلك موالاتهم للكافرين، وتركهم موالاة المؤمنين، التي أعقبتهم نفاقًا في قلوبهم، وأسخطت الله عليهم سخطًا مستمرًّا إلىٰ يوم معادهم».

٣- ومنها: أن العبد لن يصل إلىٰ كمال الإيمان، ولن ينال ولاية الله تعالىٰ إلا بالولاء والبراء؛ عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطىٰ لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان».

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فدلَّ هذا الحديث علىٰ أن من لم يحب لله ويبغض لله

لم يستكمل الإيمان».

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالىٰ في الله، وعادىٰ في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك».

٤- ومنها: أن عقيدة الولاء والبراء من أوثق عُرىٰ الإيمان؛ عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أوثق عُرىٰ الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله».

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه: سأل رسول الله ﷺ عن أفضل الإيمان؟ قال: «أفضل الإيمان أن تحب لله، وتبغض في الله، وتُعمِل لسانك في ذكر الله»[(١)].

٥- ومنها: أن عقيدة الولاء والبراء سبب لتذوق حلاوة الإيمان؛ عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار».

٦- ومنها: أنها الصلة التي يقوم علىٰ أساسها المجتمع المسلم؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال:٧٢]،

---

(١) رواه أحمد، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

وقال النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشُدُّ بعضه بعضًا».

٧- ومنها: أن هذه العقيدة بها يتميز المؤمنون، ويحصل الفرقان بين أولياء الله تعالىٰ وأولياء الشيطان؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣﴾ [المائدة:٥١-٥٣].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يرشد تعالىٰ عباده المؤمنين حين بيَّن لهم أحوال اليهود والنصارىٰ وصفاتهم غير الحسنة، ألَّا يتخذوهم أولياء؛ فإن بعضهم أولياء بعض يتناصرون فيما بينهم، ويكونون يدًا علىٰ من سواهم، فأنتم لا تتخذوهم أولياء، فإنهم الأعداء علىٰ الحقيقة ولا يبالون بضركم، بل لا يدخرون من مجهودهم شيئًا علىٰ إضلالكم، فلا يتولاهم إلا من هو مثلهم».

٨- ومنها: حصول النصر والتمكين والغلبة علىٰ الأعداء الكافرين؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾ [المائدة:٥٥-٥٦].

مظاهر وصور موالاة الكافرين

وهذه الصور من الموالاة ليست علىٰ درجة واحدة؛ فمنها ما هو كفر ورِدَّة، ومنها ما هو دون ذلك.

١- فمن مظاهر وصور موالاة الكافرين:

- محبتهم لأجل كفرهم، أو محبتهم علىٰ ما هم عليه من الكفر.
- مولاتهم ونصرتهم ومعاونتهم في قتال المسلمين.
- طاعتهم في كفرهم واتباعهم عليه.
- النصح لهم، والمعاونة علىٰ باطلهم.
- الرضا بكفرهم، وعدم تكفيرهم، أو الشك في كفرهم، أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة:٥١].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الله تعالىٰ نهىٰ المؤمنين جميعًا أن يتخذوا اليهود والنصارىٰ أنصارًا وحلفاء علىٰ أهل الإيمان بالله ورسوله، وأخبر أنه من اتخذهم نصيرًا وحليفًا ووليًّا من دون الله ورسوله والمؤمنين، فإنه منهم في التحزُّب علىٰ الله وعلىٰ رسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريئان».

فمن أخطر صور الولاء للكفار: محبتهم، والرضا بكفرهم، وعدم تكفيرهم، وإعانتهم ومناصرتهم علىٰ المسلمين بأي وسيلة كانت، فإن هذا من التولي للكفار ومن أسباب الردة، ومن نواقض الإسلام عياذًا بالله.

٢- **ومن صور الموالاة المحرمة للكفار**: الاستعانة بهم، والثقة بهم، وتوليتهم المناصب، واتخاذهم بطانةً، وتوليتهم الأعمال التي فيها أسرار للمسلمين؛ قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران:١١٨].

٣- **ومن صور الموالاة المحرمة للكفار**: - التشبُّه بهم.

فإن من صور موالاة الكفار التشبه بهم فيما هو من خصائصهم في اللباس والهيئات وغيرها؛ فقد تواترت الأدلة من الكتاب والسنة في النهي عن التشبه بالكفار؛ لأن هذا التشبه الظاهري له أثره الذي قد يمتد إلىٰ موافقتهم فيما هو أشد من اعتقاداتٍ وتشريعاتٍ ونحو ذلك؛ قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يونس:١٠٤-١٠٥].

قال العلماء: «هذه الآية أصل عظيم في الأمر بالتشبُّه بالمؤمنين، والنهي عن التشبه بالمشركين».

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من تشبَّه بقومٍ فهو

منهم».

ومنها ما جاء عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم، شبرًا شبرًا وذراعًا بذراعٍ، حتىٰ لو دخلوا جحر ضبٍّ تبعتموهم، قلنا: يا رسول الله، اليهودَ والنصارىٰ؟ قال: فمن؟».

وقال ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «الواجب علىٰ المؤمنين والمسلمين أن يبتعدوا عن التشبُّه بأعداء الله في جميع الأمور، وأن يستقِلوا بأنفسهم في جميع أمورهم؛ حتىٰ يتميزوا عن عدوِّهم، وحتىٰ يعرفوا أينما كانوا بزيِّهم وطرائقهم وعاداتهم الإسلامية، وأعمالهم الإسلامية».

وقد جاء النهي عن مخالفتهم في كثير من الأمور التي تتعلق بعبادة، ومظهر المسلم؛ سدًّا لذريعة التشبه بهم.

ومن ذلك: ما جاء عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «فصلُ ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أَكْلَةُ السَّحَرِ».

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «خالفوا المشركين، أَحْفُوا الشوارب، وأوفوا اللحىٰ».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «جُزُّوا الشوارب، وأَرْخُوا اللِّحَىٰ، خالفوا المجوس».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن اليهود والنصارىٰ لا يصبغون، فخالفوهم»، وغيرها من النصوص.

٤- **ومن صور الموالاة المحرمة للكفار**: مشاركتهم في أعيادهم ومناسباتهم الدينية، أو مساعدتهم في إقامتها، أو تهنئتهم بمناسبتها، أو حضور إقامتها؛ لأن في ذلك تشبُّهًا بهم ومتابعة.

فقد جاء النهي عن مشابهة ومشاركة المشركين في أعيادهم.

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قدِم رسول الله ﷺ المدينة، ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما: يوم الأضحىٰ ويوم الفطر»؛ فلم يقر النبي ﷺ هذين اليومين، ولا ترك أصحابه يلعبون فيهما علىٰ عادة الناس؛ بل قال: «إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما»، وأما تهنئتهم بالمناسبات الاجتماعية الخاصة كالزواج والنجاح والشفاء، وحضورها معهم فيما ليس فيه معصية، فهي تدخل في باب البر والقسط بالكفار الذي أباحته الشريعة.

٥- **ومنها**: مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة، والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم، دون النظر إلىٰ عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد.

- الاستغفار لهم والترحُّم عليهم.
- الإقامة في بلادهم لغير حاجة.
- التسمِّي بأسمائهم.

صور ليست من الموالاة المحرمة:

١- البيع والشراء معهم والإجارة:

لِما ثبت من تعامل النبي ﷺ، وأصحابه مع يهود المدينة بالبيع والشراء، والقرض والرهن، وغير ذلك من المعاملات المباحة في ديننا.

٢- البر والإحسان والصلة:

قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة:٨-٩].

٣- العدل معهم:

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة:٨].

٤- قبول الهبة منهم، والهدية:

فقد قبِل النبي ﷺ هدايا بعض الكفار؛ كهدية المقوقس وغيره، وبوَّب البخاري في صحيحه: (باب قبول الهدية من المشركين).

٥- عيادة مريضهم لدعوته للإسلام:

فعن أنس رضي الله عنه قال: «كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرِض، فأتاه النبي ﷺ يَعُوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أَسْلِمْ، فنظر إلىٰ أبيه وهو عنده، فقال له: أطِع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار».

٦- الاستعانة بهم في مصالح المسلمين.

فقد استأجر رسول الله ﷺ عبدالله بن أريقط؛ ليَدُلَّه علىٰ الطريق في الهجرة.

• ونختم حدثنا بتنبيه مهم: وهو أنه لا يلزم من معاداة أعداء الإسلام أن نعتديَ عليهم، أو نظلمهم في شيء من حقوقهم، بل يجب أن نعدل فيهم بالحق، وتأمل إلىٰ هذه النصوص من الكتاب والسنة لتعرف سماحة الإسلام في التعامل مع الكافرين؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل:٩١].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة:٨].

وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «من قتل معاهَدًا لم يَرِح رائحة الجنة، وإنَّ ريحها لَيوجد من مسيرة أربعين عامًا».

وقال النبي ﷺ: «من ظلم معاهِدًا، أو انتقصه، أو كلَّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه - أي خصمه - يوم القيامة»[(١)].

نسأل الله العظيم أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين.

---

(١) رواه أبو داود، وصححه الألباني.

وبعد، فإن هذا الكتاب قد جمع بين البيان الصادق والدليل القاطع، وبين توجيه القلوب إلىٰ الحق، وتوضيح ما جاء به الشرع من الأحكام في شأن الدعاء، والترحم علىٰ الكافر.

و لقد سعينا جاهدين أن يكون هذا العمل مرجعًا وضياءً لمن أراد التفقه في دين الله، وأن يفتح الأذهان علىٰ فهم صحيح لما حرمه الله وما أقره من الحق، بعيدًا عن الظنون والشبهات، لتكون الهداية فيها واضحة لمن ابتغىٰ الرشد.

لقد تبين لنا من خلال الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، ومن أقوال السلف الصالح، أن الرحمة يجب أن تُقَيَّد بما شرعه الله، وأن الدعاء بالهداية للكافر أثناء حياته جائزة، بينما بعد وفاته يكون الترحم عليه مخالفًا للحق ولما أراده الله، لما فيه من بيان عدله وحكمته سبحانه وتعالىٰ.

وهذا كله يدل علىٰ أن الإسلام دين قائم علىٰ العلم والعدل واليقين، دين يزرع في النفوس صفاء الضمير وصدق الإيمان، ويهدي إلىٰ الرشد ويبعد عن الغواية والضلال.

نسأل الله العلي القدير أن ينفع بهذا الكتاب كل من قرأه، وأن يجعل أثره نورًا يضيء القلوب، ويثبت الأقدام علىٰ صراطه المستقيم، وأن يجمع كلمة

المسلمين علىٰ الحق، ويهدينا جميعًا لما فيه رضاه، ويرزقنا صدق القول والعمل، ويعيننا علىٰ طاعته، ويجنبنا الانحراف عن طريقه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الحمد لله الذي هدانا لما علمنا، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس

المقدمة... ..... ٥
الآيات الواردة في تحريم الترحم على الكافر ١٢
الأحاديث الواردة في تحريم الترحم على الكفار..... ٢١
آثار السلف وإجماع الأمة في تحريم الترحم على الكفار ٢٥
جواز الدعاء للكافر بالهداية حال حياته ٣٥
فتاوى العلماء ٤١
الشبهات والردود في مسألة الترحم على الكافر ٦٨
تاريخ مجازر اليهود والنصارى بحق المسلمين ٨٠
الولاء والبراء ٩١
مظاهر وصور موالاة الكافرين ١٠٠
خاتمة الكتاب ١٠٦
فهرس.... ..... ١٠٨